مجدى أحمد حسين

أزمة الخليج

بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان



دار الشرق الأوسط

أزمـة الخليـــــــــج

بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان

مجـدى أحمـد حســين

دار الشرق الأوســـط

تقـــــــــديم

وسط طوفان من الاعلام المضلل . . غرق شعبنا خلال الشهور القليلة الماضية . . فيما عرف بأزمة الخليج .

واستخـدمت فى هذه الحمـلات الاعـلامية كل وسـائـل غسيل المخ : أكـاذيب . . شتـائم ضد العـرب والعروبة . . تمجيد فى الغزوة الصليبية الجديدة . . وتمجيد فى الغزاة الأمريكيين . . لم يحظ به أى غاز فى التاريخ . .

إلا أن أخطر أسلحة هذه الحملات . . كان التستر بالدين . . ومحاولة استصـدار فتـاوى من بعض رجـال الـدين لتـبرير الغـزو الأمـريكى . . والاستعانة بالمشركين .

وجرى اجتراء لامثيل له على نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة . . فكان لابد أن يصدر هذا الكتيب . . بمثابة كلمة حق . . نحاول أن ننير بها الطريق فى الظلام الدامس . . وانتصاراً لأحكام ديننا الحنيف . . ومصير أمتنا العربية الإسلامية . . الذى سلمه بعض حكام العرب إلى أيدى بوش وحلفائه الصليبيين . . الذين لايريدون إلا الشر لهذه الأمة . .

هذه الـرسـالـة التى نستهـدف بها وجـه الله تعـالى ليست إلا رجـوعاً للأصول . . (القرآن والسنة) ومن خلال أمهات الكتب فى التفسير والسنة لنعيد الحقائق إلى نصابها . . ولنطبق هذه الأحكام على وقائع أزمة الخليج كما جرت وتجرى أحداثها أمام أعيننا . .

لقد حاول المضللون أن يحصروا القضية فى نزاع كويتى ـ عراقى . . مع أن قدوم نصف مليون جندى أمريكى إلى أرض الجزيرة العربية . . جعل الصراع فى جوهره الآن صراعاً بين الأمة العربية ـ الإسلامية وبين أكبر حملة

ونود أن نشير فى البداية إلى أن اللجوء للقرآن الكريم بصورة جزئية لتبرير موقف جزئى أمر مرفوض شرعاً فلابُدَّ من أخذ القرآن ككل وبكل أحكامه المتعلقة بالموضوع ذاته . . ولا يمكن أن ننتظر بعد أن يصدر الرئيس بوش قراراته ثم نبحث له فى القرآن الكريم عن تفسير لهذه القرارات أو مشروعية لها . . فهذا والله أمر عجيب . وإذا كنا سنحتكم للقرآن حقاً وصدقاً . . فمرحى . . مرحى . . ولكن لكى نحتكم له كله . . ونلتزم بأحكامه بأسرها . . حتى لانقع تحت طائلة الآية الكريمة .

(أفتؤمنونَ ببعضِ الكتابِ وتكفُرُون ببعضٍ فما جزآءُ من يفعلُ ذلكَ منكم إلا خزىٌ فى الحياَة الدنيا ، ويوم القيامةِ يُرَدَّون إلى أشدِ العذاب ، وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون) . . صدق الله العظيم . .

ولنبدأ بالتفسير المجرد للآيات . . التى هى واضحة بصورة لامثيل لها . . والتى لم يختلف كبار المفسرين حولها . . لفرط قطعيتها ووضوحها . . ونحمد الله على ذلك . . وبعد ذلك التفسير نحاول تطبيقها بصورة أمينة صادقة على احداث أزمة الخليج التى لم يعد خافياً على أحد وقائعها الأساسية .

ولكن قبل ان نبدأ فى التفسير لابد من الإشارة إلى خلفية أساسية . . وهى استمرار غياب الدولة الإسلامية ، والسلطة الشرعية الإسلامية فى دار الإسلام ، وهى المنوطة وحدها بتطبيق شريعة الله . . وهذا تحفظ أساسىّ يتجاهله باستمرار « فقهاء » السلطان .

فالمشكلة فى حالتنا ليست ضعف الطائفة الثالثة التى يمكن أن تحكم وتحسم الخلاف بين الطائفتين المتنازعتين . . فهذا هروب من واقع المشكلة . . ان الطائفة الثالثة المفترضة ليست ولا يجب أن تكون إلا الدولة الإسلامية وامام المسلمين فأين هى الدولة الإسلامية وأين هو الامام الشرعى ؟! فالمفترض ان المسلمين ليسوا طوائف مشتّتة ولكن أمة واحدة بسلطة واحدة (إن هذه أُمتُكُمْ أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاعبدون) وأمرُ الله عز وجل بإطاعة أولى الأمر معلق بوجود الأمراء والعلماء الشرعيين الملتزمين بشريعة الله . .

وهذا الواقع يضع قيوداً على تطبيق أحكام الله . . التى لايمكن أن تطبق مجزأة أو بالقطعة . . سواء فى هذا المجال (تنازع المؤمنين) أو فى غيره .

ومع ذلك ولإيماننا بإننا بين ظهرانى مجتمع إسلامى . . ولايزال الجميع ـ عند الضرورة ـ يحتجون بالقرآن الكريم فلنذهب معهم إلى نهاية الشوط . . ولكى يتأكد الجميع أنه لايمكن الالتزام الصادق بأحكام القرآن إذا أخذناها مبتسرة . . والواقع فإن أحداً من فقهاء السلطان لايستشار . . بل انهم يؤمرون بتبرير ما قد حدث بالفعل . . وما صدر من قرارات . . حتى ولو كانت هذه المرة قد صدرت فى البيت الأبيض .

الآية الكريمة تصف ٣ مراحـــــل :

(١) (وإن طآئفتان من المؤمنينَ اقتتلُوا فأصلحوا بينهما) .

(٢) (فان بغت إحداهُمَا على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمرِ الله) .

(٣) (فإن فآءتْ فأصلحوا بينهما بالعدلِ وأقْسِطُوٓا إن الله يُحِبُّ المُقسِطين) .

وجاءت الآية التالية من سورة الحجرات لتؤكد المعنى الأخير (المرحلة الثالثة) وتفصله (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

المرحلة الأولـــــــى :

« تشير الآية أول ما تشير إلى الواجب الملقى على عاتق الجماعة فى حالة قيام نزاع بين طائفتين ، أى بين أى جماعتين مؤمنتين إذ يتعين على المسلمين ان لايقفوا موقف المتفرج بل ان الواجب يحتم ضرورة التدخل لاصلاح ذات البين وفضَ المنازعة المسلحة بالطرق الودية كما يقولون ، ولم يجعل القرآن فى هذه المرحلة أى شرط لفض النزاع . فكل حل يؤدى إلى المصالحة بين

الطرفين فهو مقبول لان الهدف هو السلام وما يقبله الطرفان بطيب خاطر ، وسنرى فى مرحلة تالية ان القرآن الكريم يشترط العدل لأنه سيكون هو السبيل الوحيد الذى يؤدى الى السلام .أما فى هذه المرحلة الأولى ، فكل اتفاق يرضى عنه الطرفان فهو مقبول لانه يؤدى الى السلام والقانون الدولى الحديث يسمى هذه المرحلة مرحلة المساعى الودية والوساطة فالتحكيم .

المرحلة الثانيـة : التكاتف لرد العـدوان . .

ونلاحظ هنا أن الانتقال لمرحلة تالية ينبنى على استنفاد كل أسباب المرحلة السابقة ، فهو توالى وتصاعد . . وليست طرقاً متوازية أو بدائل . . (فإن بغت) . . ثم (فإن فاءت) . .

فقد تنجح المساعى الحميدة وتنجح الوساطة وأخيراً التحكيم فى إيقاف القتال والصلح بين المتنازعين وقد لاتنجح بطبيعة الحال نتيجة لصلف أحد الطرفين وغطرسته واستطالته بقوته ، بحيث يظل متشبثاً بموقفه ، ماضياً فى عدوانه ، وهنا يتعين على جماعة الخير ان يتدخلوا لمساعدة المظلوم ودفع عدوان الباغى وذلك حتى يثوب إلى رشده ويرجع إلى الحق . .

(فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) .

المرحلة الثالثـة : السلام القائم على العـدل . .

وتأتى المرحلة الثالثة فى خاتمة المطاف حيث تنجح (جماعة الخير) فى ردع المعتدى وإيقافه عند حده وهنا تتجلى عظمة التشريع والتى تنطق بألوهيته وإنـه لايمكن أن يكـون من صنع إنسان . فنحن هنا أمام جماعة معتدية (باغية) وقد خسرت الحرب وهزمت بفضل تدخل (جماعة الخير) أى انها قد فقدت قوتها ولم تعد تشكل خطراً ، ومع ذلك فإن القرآن يأمر هنا من جديد بالمصـالحـة وينص هذه المرة على أن تتم المصـالحة على أساس من العدل ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لاستقرار السلام ، فإن أى حل لايقوم

على العـدل لايمكن أن يحقق السلام وانه يكون شأنه شأن هدنة مؤقتة ، فلايكـاد المغلوب على أمره يلتقط أنفاسه ويستعيد قوته حتى ينتهز الفرصة المناسبة لكى يقاتل من جديد ليرفع عن نفسه ما يتصوره ظلماً وقع عليه وتحيُّفاً من حقوقه . ومن هنا نصّ القرآن على وجوب العدل حتى لقد عبر عنه بأكثر من لفظ . ووعد العادلين (المقسطين) بمحبته . .

« فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » . .

(تفسير القرآن الكريم من سورة الأحقاف إلى سورة المرسلات ـ للأستاذ أحمد حسين ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) . .

وبمراجعة أمهات التفسير لم نجد أى تأويلات متعارضة مع مضمون هذا التفسير ولا على تصاعده وتواليه فى مراحل ثلاث وفى مقدمتها . . تفسير ابن كثير والقرطبى . . ولا فى مختلف كتب الفقه وفى مقدمتها الأم للإمام الشافعى .

بل ان معارضينا لم يطرحوا تأويلاً آخر للآية ، ولكنهم طرحوا بالأحرى تأويلاً آخر للأحداث ، يتغافل عن وقائعه الاساسية . . ارضاء للأهواء . (ومن أظلمُ ممن افترى على الله كَذِباً أو كذَّب بالحق لما جآءه) .

فلنطرح التطبيق الأمين لهذه الآية الواضحة كفلق الصبح على احداث الخليج . .

سنجـد بكـل بسـاطـة ان المـرحلة الأولى لم تحدث إطلاقاً (أى محاولة الصلح) وتم تحديد الفئـة البـاغية من بعض أنـظمـة الحكم فى بلاد المسلمين . . ثم تم القفز خارج سياق الآية الكريمة تماماً واستدعاء قوات أمريكا لمقاتلة الباغى . . وهى الآن تحرّض الامريكيين على القتال . . مع ان القتال متوقف بالفعل . . بل لم يجر قتال بالمعنى المفهوم للكلمة . . إلا لبضـع سـاعـات . . وطـالمـا ان القتال متوقف فإن الصلح والسلم مرحلة إجبارية ويجب الحفاظ عليها حتى تستنفد . ولكن بعض الأنظمة فى بلاد المسلمين تحرض الامريكيين على القتال . . لأنها أصدرت لهم فتوى بمن هو الباغى ؟!

ولنؤجل الآن قضية استدعاء المشركين حتى نوضح كيف ان المرحلة الأولى . . وهى الصلح لم تتم . . كلنا يعلم ان ضم العراق للكويت استغرق ساعات قليلة وفى الأيام التالية القليلة لم يتحرك أحد للصلح وكما قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله (ان ايجاد جامعة إسلامية تنظم العلاقات أمر واجب لمنع الاعتداء بين المسلمين) وهذه الجامعة غير موجودة بل انظمة متفرقة أغلبها تابع اقتصاديا وعسكرياً ومالياً ومعنوياً للولايات المتحدة التى ليس لديها أى فهم أو مصلحة مع القرآن الكريم !! ولا مع سورة الحجرات بالذات !!

ثم كانت دعوة الرئيس مبارك لعقد مؤتمر القمة وكان يمكن من الناحية النظرية ـ ورغم تحفظاتنا على الأنظمة العربية ـ ان يقوم أو بالأحرى يبدأ مهمة الصلح . إلا ان المؤتمر الذى عقد بعد اسبوع من ضم الكويت وبدون أى مشاورات مسبقة ، وقع تحت السيطرة الامريكية ، فقد كانت القوات الامريكية قد بدأت بالتدفق على الخليج وأصبح الحديث عن حل إسلامى فى ظل هذا التواطؤ نوعاً من الهراء . . ومع ذلك كان يمكن للمؤتمر ان يحقق شيئاً يحرج على الأقل الغزوة الصليبية الوافدة بالحديث عن الانسحاب المتزامن . . ولكن الأغلبية الطفيفة انحازت للموقف الأمريكى ، وليس لمنطق الصلح بين الأخوة . . ولان الأخوة فى الخليج تدعموا بالوجود الامريكى فلم يعد لديهم رغبة فى الحوار . . وضاعت امكانية وشروط الاتهام بالفئة الباغية ! لان الفئة الباغية هى التى تنقض الصلح ولم يكن هناك ثمة صلح . ولا يمكن القول باخلاص العمل من أجل الصلح خلال ٢٤ ساعة هى عمر مؤتمر القمة المنكود . ومن الناحية الاسلامية ـ على عكس ما يصور البعض ـ فإن قيام العراق بضم الكويت ليس هو العنصر الكافى لاتهامه بالبغى فالإسلام لايعرف الحدود الجغرافية بين الدول والامارات كما يقول شيخنا الجليل عبد الحليم محمود رحمه الله (الجهاد فى الإسلام) ، وبالذات لو كانت من صنع المشركين سايكس بيكو ـ أو الدول الاستعمارية . . ولا يمكن تحديد الباغى على أساس القانون الدولى الغربى ، وإنما على أساس شريعة الله كتاب الله وسنته وبالتالى فإن الامارة المستقلة بصورة مطلقة عن

العالم الإسلامى ليست من الشريعة فى شىء . . كما لا يوجد مجال لتفضيل النظامين العراقى والكويتى على أساس الشريعة الاسلامية طالما ان كليهما لم يكن ملتزماً بالشريعة على الاقل حتى ٢ أغسطس الماضى . . وبالتالى فإن حل المشاكل المعلقة بين الطرفين بالعدل لابد ان تتجاوز شكليات القانون الدولى غير الاسلامى الى الحقوق والواجبات بين المسلمين لا أن تكون الآية الكريمة تحت رحمة تفسير مجلس الأمن الصليبى فى مجموع تكوينه .

وهكذا فإن قضية الصلح لم تكن سهلة . . ولا يمكن أن تختزل إلى مجرد الانسحاب العراقى غير المشروط . . فهذا قد يكون موقف الامريكيين الحريصين على بترولهم فى الكويت . . ولكنه ليس بالضرورة موقف أو مصلحة المسلمين .

وليس من مهمتى الآن البحث عن الصلح المثالى . . لان ما يتفق عليه الأطراف ويكفى المؤمنين شر القتال . هو الصلح المثالى . . وإنما أردت فقط أن أشير الى قضية تعقيد الصلح . . وتعقيد المشكلات التى أدت إلى هذه الأزمة . . حتى لو استقرت عملية الصلح المخلصة على أن العراق هو الطرف الباغى فإن ذلك كان لابد إن يمر بالمعايير والأصول الإسلامية ذات العلاقة بموضوع النزاع ومنها ان المال مال الله . . وان مال المسلمين لايمكن ان تستأثر به أقلية (كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم) بدعوى حدود جغرافية لم يقرها الإسلام بل صنعها المستعمرون لغرض بترولى واضح . .

أن تحديد الطرف المخطىء . . أو الباغى كان سيتم من خلال العديد من معايير العدل الإسلامى . . وهذا لم يحدث . . فى حين ان الآية تحدثت عن البغى . . بعد الصلح . . والصلح لم يحدث . .

وإذا أضفنا لذلك ان النوايا لم تكن مع أى صلح . . وكانت مبيتة على تأكيد الدور الأمريكى نرى أن الصلح لم يتم إذا فهمنا القرآن بشكل واع وعميق وليس من خلال شكليات أفشل مؤتمر قمة فى تاريخ جامعة الدول العربية . وقد كان يمكن لمصر بثقلها ان تلعب دور رمانة الميزان ولكنها أبت أو لم تتمكن الا من الانصياع للاتجاه الامريكى الذى ساندته الكتلة الخليجية

فى المؤتمر . . وهى الوقائع التى شرحتها جريدة الشعب فى حينه .

يقول الإمام الشافعى بضرورة الدعاء الى الصلح قبل القتال ، وهذا لم يحدث . بل ان الرئيس مبارك أعلن فى إحدى المرات ان الحل العسكرى هو الحل الوحيد ولكن أمريكا هى التى تراجعت ـ حتى حين على الأقل ـ عن استخدام الحل العسكرى المباشر .

العراق . . باغيـــــــة :

ومـع ذلـك ولو سلمنا جدلاً ان العراق باغية ، فان علماءنا الأجلاء لم يوضحوا للجمهور شروط مقاتلة الباغى المؤمن . .

وأولها كما يقول الإمام الشافعى (لايجوز لأهل العدل أن يستعينوا على أهـل البغى بأحد من المشركين ذمى ولا حربى ، ولو كان حكم المسلمين الظاهر ، ولا أجعل لمن خالف دين الله عز وجل الذريعة إلى قتل أهل دين الله) .

وهو يوضح الشروط الشرعية لمقاتلة أهل البغى ، والمشتقة من اعتبارهم مؤمنين :ـ

١ ـــ عدم تطبيق القصاص عليهم بمجرد تراجعهم (فإن فاءت) .

٢ ـــ حفظ أموالهم ودمائهم بمجرد انتهاء القتال بالهزيمة أو التراجع إلى أمر الله .

٣ ـــ بل عدم استباحة أموالهم أثناء القتال .

٤ ـــ عدم مقاتلتهم وهم مدبرون أو جرحى أو أسرى .

٥ ـــ الصلاة على من مات منهم خلال القتال .

٦ ـــ لو وادع أهل البغى قوماً من المشركين لم يكن لأحد من المسلمين غزوهم (أى المشركين) والعكس بالعكس !

٧ ـــ لو سبى المشركـون أهـل البغى يقـاتـل المسلمون المشركين حتى يستنقذوا أهل البغى !

وهذه شروط رهيبة . . وعجيبة . . ولا مثيل لها . . بين الأمم . . لأنها تحافظ على الأمة الإسلامية حتى فى اقتتالها . . وتجعل المسلمين أمة من دون الناس وتضع قواعد صارمة لصراعاتهم . . فأين هذا من زيف وسفه إعلامنا المصرى الذى يشارك فيه بعض المعممين الذين يتحدثون عن الفئة الباغية وكـأنهم كفـار . . ويطالبون قوات المشركين بحرق الأخضر واليابس وقتل الاطفال والشيوخ والنساء بين أهل الغى المفترضين . . ويؤيدون المقاطعة الاقتصادية . . للمؤمنين بما فيهم المصريون الذى يعيشون فى العراق . . مع ان الإسلام يؤكد على حرمة المدنيين والشيوخ والاطفال حتى فى الحرب ضد الكفار . . فما بالنا فى حرب مفترضة مع بغاة مفترضين . .

ولذلك حرص القرآن على تأكيد وحدة الأمة وتلاحمها . . فبعد هذا القتال المنضبط بكل هذه القيود يتم اعادة لحم ما تقطع من نسيج الأمة (فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ومن الإعجاز ان تتبع هذه الآيات آية أخرى ترفض الحملات الاعلامية البذيئة بين المسلمين . . وكأن سورة الحجرات تصف حالنا الآن . .

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءُ من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزواْ بالألقاب بئس الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمان ومن لم يَتُبْ فأولئك هم الظالمون) .

فها نحن نرى إعلامنا المهذب منذ ١٢ عاماً مع بنى إسرائيل لم يكف لحظة عن السخـرية من أقـوامنـا المسلمـين . . فى فلسـطين والعـراق والأردن والسـودان ، وإذا كان اعـلاميونا مهتمين بالفتاوى الإسلامية فليتبعوا هذه الآية لأنها تؤكد ماسبق . . ان فترة الجفاء ستنتهى بمجرد انتهاء القتال . . ولاداعى لان نفجـر فى خصامنا وهى من صفات المنافق انه (اذا خاصم فجر) لأننا من المفترض ان نعود ونتلاحم مع أهل البغى المفترضين فلا يجب تعميق الهوة .

كما لايجيز الإمام الشافعى بالإضافة لكل ما سبق ان يقاتل أهل البغى بأحد من المسلمين يستحل قتلهم مدبرين وجرحى وأسرى . فما بالكم بالمشركين الذين لن يراعوا بالتأكيد كل هذه الضوابط الشرعية . . بل إنهم على العكس سيجدونها فرصة لاعمال القتل والتدمير فى جانب من أهل دين الإسلام .

وبهذا نكون قد وصلنا إلى المحور الثانى . . شرعيَّة الاستعانة بالمشركين !!

الاســــــتعانة بالمشركين ضد المسـلمين

واصل البعض غيه . . وطرح مالا يمكن ان يطرح استناداً للقرآن والسنة ودافعـوا من منـطلقـات « إسـلامية » عن الاستعانة بالقوات الأجنبية من المشركـين ضد المسلمـين لضرورة ! أو عند الحاجة ! وهذا تجاوز للحد لو استخدمنا أكثر العبارات تهذيباً . . لاننا سنترك الحكم القاسى لآيات القرآن الكريم .

يقول الأستاذ / خالد محمد خالد ان الأصل فى الأشياء الاباحة . . وفاته وهو فى حالة الحماس الشديد لتاتشر الشامخة وبوش العظيم . . ان الاستعانة بالمشركين ضد المؤمنين من الأمور المحرّمة بنص القرآن الكريم ، وانها ليست من الأمور المباحة . . أو المتروكة للاجتهاد . (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) .

ونكتفى فى هذا الجزء بأحكام القرآن . . نتبعه بعد ذلك بأحكام السنة وسيرة رسول الله وهى السيرة النبوية الشريفة التى أوسعوها تشويها والله يجزيهم على ذلك الجزاء الأوفى .

وقد حصرنا من آيات القرآن الكريم ستة وأربعين آية كريمة تنهى عن تولى الكفار من دون الله ومن دون المؤمنين . . ونحن نعلم ان التكرار فى القرآن الكريم أحد الوسائل البلاغية لشرح أو تأكيد معنى من المعانى أراد الله فى دستوره الالهى أن يلفت نظرنا إليه مبثوثا فى مختلف السور بين دفتى المصحف الكريم . . وهو ليس تكراراً بالمعنى الدارج فكل آية تلقى الضوء من زاوية خاصة جديدة أو فى سياق مختلف .

ســــــورة البقرة . .

(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١٠٥) صدق الله العظيم يقول الطبرى فى تفسيره :

ما يحب الكافرون من أهل الكتاب (كثير منهم) ولا المشركين بالله ان ينزل عليكم من الخير الذى كان الله ينزله عليهم ، فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب ان لاينزل الله عليهم الفرقان . وفى هذه الآية دلالة بينة على ان الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قولهم وقبول شىء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم ، باطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ماهم مستبطنون .

ويقول ابن كثير فى تفسيره :

يبين بذلك الله تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من تشبّه المؤمنين بهم ليقطع المودة بينهم وبينهم كما جاء فى الآية السابقة (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) . التى أكدت على عدم التشبه باليهود فى أسلوب حديثهم .

* * * * *

سورة آل عمران :

(لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) (٢٨) صدق الله العظيم . .

يقول الشهيد سيد قطب فى ظلال القرآن . .

إن الذى يتخذ الكفار أولياء ـ والكفار كما يقرر السياق هم الذين لايقبلون التحاكم إلى كتاب الله ـ « فليس من الله فى شىء » . . ولا علاقة له بالله فى شىء ولا صلة بينه وبين الله فى شىء . . مجرد من يتولى وينصر أو يستنصر أولئك الكفار الذين يرفضون ان يتحاكموا إلى كتاب الله . ولو ادعوا انهم على دين الله !

ويشتد التحذير من هذه الولاية التى تذهب بالدين من أساسه . ويضيف

السياق إلى التحـذير التبصير . تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة القوى التى تعمل فى هذا الوجود . فالله وحده هو السيد المتصرف . مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء . فلا داعى إذن لولاية غيره من العباد مهما يكن لهم من قوة ومن مال وأولاد .

ويشى هذا التحـذير المؤكـد المكرر بما كان واقعاً فى الجماعة الإسلامية يومـذاك من عدم وضـوح الأمـر تماماً ومن تشبث بعضهم بصلاته العائلية والقومية والاقتصادية مع المشركين فى مكة ومع اليهود فى المدينة مما اقتضى هذا التفسير والتحذير . كما انه يشى بطبيعة ميل النفس البشرية الى التأثر بالقوى البشرية الظاهرة وضرورة تذكيرها بحقيقة الأمر وحقيقة القوى ، إلى جانب إيضاح أصل العقيدة ومقتضياتها فى واقع الحياة . فما ولاء المؤمن إذن لأعداء الله ؟ إنه لايجتمع فى قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه . ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لايرتضى أن يحكم كتاب الله فى الحياة سواء كانت الموالاة بمودة القلب أو بنصره أو باستنصاره (ليس من الله فى شىء) لا فى صلة ولا نسبة ولا دين ولا عقيدة ولا رابطة ولا ولاية . فهو بعيد عن الله ، منقطع الصلة تماماً فى كل شىء تكون فيه الصلات .

وجاء فى تفسير القرطبى عن نفس الآية الكريمة :

قال ابن عباس : نهى الله المؤمنين ان يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء ومثله « لاتتخذوا بطانة من دونكم » ومعنى فليس من الله فى شىء أى فليس من حزب الله ولا من أوليائه فى شىء .

وجاء عن نفس الآية فى تفسير ابن كثير :

نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين ان يوالوا الكافرين وان يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) أى ومن يرتكب نهى الله فى هذا فقد برىء من الله .

(وهكذا نرى ان معانى الآيات واضحة ولاخلاف حول تفسيرها ولكننا سنواصل العرض طالما أن هناك من علماء السلطان والمعمّمين من اجترأ على كتاب الله وعلى ماهو معلوم من الدين بالضرورة . . لنواصل عرض الآيات وتفسيراتها لعلها تخجلهم أو تخرس ألسنتهم !!) .

وعن نفس الآية تفسير الأستاذ أحمد حسين :

كل من اتخذ من الكافرين ولياً (أى صديقاً ونصيراً) والموالاة فى اللغة تطلق على الحب والصداقة كما تطلق على النصرة . ونخلص من ذلك ان القرآن الكريم نهى بصريح النص عن موالاة الكفار باتخاذهم أنصاراً وأصدقاء من دون المؤمنين ويحكم الله على من والى الكفار بان الله برىء منه وفى آية أخرى يقول تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أى يصبح من الكفار أعداء الله .

تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك ويعز ويذل وبيده وحده الخير والخلق والرزق فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم ، متجاوزين نصرة المؤمنين لان فى هذا خذلاناً للدين وإيذاء لأهله . واضعافاً للولاية الإسلامية ، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك فى شىء .

آل عمـــــران الآية ١٠٠ :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) .

وكان السبب المباشر لنزول الآية هو المؤامرة اليهودية للايقاع بين الأوس والخزرج كى يعودوا بعد تآخيهم فى الايمان إلى الاقتتال الجاهلى . . وعن المعانى الخالدة لهذه الآية يقول الشهيد سيد قطب (فى ظلال القرآن) : لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشىء فى الأرض طريقها على منهج الله وحده متميزة متفردة ظاهرة لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله ، لتؤدى فى حياة

البشر دوراً خاصاً لاينهض به سواهـا . لقـد وجدت لإقرار منهج الله فى الأرض . وتحقيقه فى صورة عملية . ذات معالم منظورة . وهى لاتحقق غاية وجودها إلا إذا تلقت من الله وحده لا التلقى من أحد البشر ولا طاعة أحد من البشر . إما هذا وإما الكفر والضلال والانحراف .

إن طاعة أهل الكتاب والتلقى عنهم واقتباس مناهجهم وأوضاعهم تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية والتخلى عن دور القيادة الذى من أجله أنشئت الأمـة المسلمـة . كما تحمـل معنى الشك فى كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنـظيمهـا والسـير بها صعـداً فى طريق النـماء والارتقاء . هذا من جانب المسلمين أما هذا الفريق أهل الكتاب فهم لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها فهذه العقيدة هى صخرة النجاة وخط الدفاع ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة وأعداؤها يعرفون هذا جيداً . وحـين يجدون من بعض المسلمـين طواعية واستـماعـاً واتباعاً فهم ولاشك سيستخـدمون هذا كله فى سبيل الغاية التى تؤرقهم وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال .

آل عمـــــران ١١٨ :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا . ودوا ماعنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) .

ســـــــيد قطب :

يجىء التحذير للجماعة المسلمة من ان تتخذ من أعدائها الطبيعيين بطانة وان تجعـل منهم أمنـاء على أسرارهـا ومصـالحهـا وهم للذين آمنوا عدو . والمسلمون فى غفلة عن أمر ربهم . ألا يتخذوا بطانة من دونهم بطانة من ناس هم دونهم فى الحقيقـة والمنهج والوسيلة . وألا يجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة . المسلمون فى غفلة عن أمر ربهم هذا يتخذون من أمثال هؤلاء مرجعاً فى كل أمر وكل شأن وكل وضع وكل نظام وكل تصور وكل منهج وكل طريق !

أحمـــد حســـين :

هذه الآية دعوة للمؤمنين فى كل زمان ومكان إلى أبد الآبدين ان لايتخذوا أى لا يركنوا ويثقوا بأحد .

من دونكم : أى من غير أنفسكم ، من سواكم (أى أى جماعة بخلاف جماعة المؤمنين) بطانة : بطانة الرجل خاصته وموضع سره ، مأخوذ من بطانة الثوب أى باطنه وهو عكس الظهارة أى ظاهر الثوب . لا يألونكم خبالا : من الألو وهو التقصير والضعف .

الخبال : الفساد . والمعنى انهم لا يقصرون عن افسادكم بكل الوسائل والطرق الظاهرة والخفية .

ودوا ماعنتم : أى تمنـوا ورغبوا أشد الرغبة (ماعنتم) من العنت وهو المشقـة . أى أنهم يتمنون من صميم قلوبهم ان تغرقوا فى خضم المشاكل والمصاعب والأزمات ويعملون جاهدين على افسادكم .

القرطبـــــــــى :

أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار ونهى الله المؤمنين ان يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم فى الآراء ويسندون إليهم أمورهم . وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) . وروى أنس بن مالـك قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم (لا تستضيئوا بنار المشركـين) وفسره الحسن بن أبى الحسن فقـال : أراد عليه السـلام لا تستشيروا المشركين فى شىء من أموركم .

آل عمـــران ١٤٩ ـ ١٥٠ :

(يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) .

ابن كثيـــــــــر :

يحذر تعالى عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الـردى فى الدنيا والآخرة ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه ، ويروى سيد قطب فى ظلال القرآن حول هذه الآيات التى وردت حول فترة أحـد ان قومـاً من الأنصـار سألـوا رسـول الله ﷺ ان يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالمعركة هى معركة الإيمان والكفر فما ليهود بها ؟ والنصر من عند الله حين يصح التوكل عليه وتتجرد القلوب له .

النســـــــاء ٨٩ :

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولّوْا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً) .

وفى هذه الآية نهى عن تولى المنـافقـين الذين يدّعون الإسلام . . ولا يجاهدون فى سبيل الإسلام بل ينضمون الى اعدائه . .

وهكـذا نرى أن الآيات المتوالية تحرم موالاة غير المؤمنين : سواء أكانوا كفاراً أو مشركين أو منافقين أو من أهل الكتاب ، وبالنسبة لأهل الكتاب فإن الإسلام يفرق بين المعتدين والمسالمين . . وبين الذميين (من مواطنى دولة الإسلام) وبين الحربيين (أهل الكتاب المحاربين لدولة الإسلام) وهو الأمر الذى نفصل أحكامه فى نقطة تالية من دراستنا . . ولكننا نود أن نؤكد من البـداية أن موضوع الدراسة ينصب بالاساس على الكفار والمشركين وأهل الكتاب المحاربين للإسلام (الغرب الاستعمارى) وحكمهم فى القرآن واحد أى تحريم موالاتهم وهو تحريم قاطع كما رأينا وكما سنرى من باقى الآيات .

النســـــاء ١٣٨ ـ ١٣٩ :

(بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) .

تضيف هاتان الآيتان معنى إضافياً فهى تصف الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بأنهم المنافقون ، والمنافقون فى القرآن الكريم هم الذين يدعون الإسلام . . دون أن يكونوا مؤمنين فى قرارة أنفسهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

ويشرح الإمام رشيد رضا فى تفسيره المنار آية سورة النساء بقوله : ثم وصف هؤلاء المبشرين (المنافقين) بأنهم يتخذون الكافرين المعادين للمؤمنين أولياء وأنصارا ، متجاوزين ولاية المؤمنين وتاركيها إلى ولايتهم وممالأتهم عليهم لاعتقادهم أن الدولة ستكون لهم فيجعلون لهم يدا عندهم (أيبتغون عندهم العزة) استفهام تقريع وتوبيخ . ان كانوا يبتغون عندهم العزة وهى المنعة والغلبة ورفعة القدر (فإن العزة لله جميعا) فهو يؤتيها من يشاء فكان عليهم أن يطلبوها منه بصدق الايمان والسير على سننه تعالى واتباع هداية وحيه الذى يرشدهم إلى طرقها ويبين أسبابها ، وقد آتاها الله نبيه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه ، وسيرهم على سننه ، ولما أعرض المسلمون عن هذه الهداية التى اعتز بها سلفهم ذلوا وساءت حالهم ، وصار فيهم منافقون يوالون الكفار دونهم ، يبتغون عندهم العزة والشرف وما هم له بمدركين فعسى الله أن يوفق المسلمين إلى الرجوع إلى تلك الهداية فيعودوا إلى حظيرة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

ويقول ابن كثير : ان الله ينهى عن مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم . وأولياء أيضاً بمعنى نصراء .

المـــــائدة ٥١ ـ ٥٢ :

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتِىَ بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) .

يقول القرطبى نزلت هاتان الآيتان يوم أحد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم أن يوالوا اليهود . وقيل انها نزلت فى عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبى بن سلول حيث تبرأ عبادة ـ رضى الله عنه من فكرة موالاة اليهود وتمسك بها بن أبى وقال : إنى أخاف ان تدور الدوائر .

(ومن يتولهم منكم) يعضدهم على المسلمين (فإنه منهم) أى حكمه كحكمهم . وهـذا الحكم باق إلى يوم القيامـة فى قطع الموالاة . وقد قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .

(الموالاة) النصـــــرة .

(فإنـه منهم) وجبت معـاداته كما وجبت معاداتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم فصار منهم أى من أصحابهم .

ونؤكد هنا أيضا أن سياق الآيات الكريمة يشير إلى أهل الكتاب المحاربين للإسلام ولدولته .

المائـــــدة : ٥٧ :

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) .

يقول القرطبى : لما أراد النبى الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا : نسير معك فقال عليه الصلاة والسلام (انا لانستعين على أمرنا بالمشركين) .

المائـــــدة : ٨٠ ـ ٨١

(ترى كثـيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخِط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكنَّ كثيراً منهم فاسقون) .

وهذه الآيات نزلت فى بنى إسرائيل لأنهم كانوا يتعاونون مع الكفار ضد الإسلام والمسلمين فهل نحذو اليوم حذو بنى إسرائيل ؟!!

الأنفـــــال : [٦٤] :

(يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) حصرت هذه الآية عدة النبى فى نصره . . وهى الله ومن اتبعـه من المؤمنـين وفى تفسـير آخر حسبك أنت والمؤمنين الاعتماد على الله .

الأنفـــــال : ٧٣ ـ ٧٥ :

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنةٌ فى الأرض وفسادٌ كبير) (والذين أمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم) .

فالذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل متعاونون فى عداوتكم فلا توالوهم ، فإن خالفتم وواليتموهم تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض . وإنه حقاً لوصف دقيق للفتنة الكبرى التى تمثلها القـوات الأمريكية والغربية فى بلاد الحرمين الشريفين . والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيراً وجاهدوا مع السابقين فأولئك منكم ياجماعة المؤمنين ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم ـ فضلاً عن ولاية الايمان ـ ولاية القرابة فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شىء .

ســـــــــورة التوبة :

الآيات السـابقـة كانت نهاية سورة الأنفال التى خُتمت بالكشف عن الحدود الفاصلة بين المؤمنين وغير المؤمنين بحيث وضح موقف كل منهما من الآخر ، فالمؤمنون بعضهـم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض .

وبدأت سورة التوبة بهذا الإعلان العام الذى كان تطبيقاً للأحكام التى تضمنتها الآيات الواردة فى آخر الأنفال ، من عزل المؤمنين عن الكافرين حيث قضى هذا الاعلان ببراءة الله ورسوله من المشركين ومن العهود المعقودة معهم . ومن المهم ان نشـير إلى أن سورة التوبة هى آخر سورة نزلت من القرآن الكريم على أرجح الأقوال .

(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) هو اعلان بقطع العلائق التى كانت تصل المؤمنين بالمشركين من عهود ومواثيق وذلك لما أحدث المشركون من عبث بهذه العهود واستخفاف بها ، إذ أنهم كانوا لايتمسكون بها إلا إذا وجدوا فى ذلك مصلحة محققة لهم فإذا أمكنتهم الفرصة من المسلمين أنكروا هذه العهود .

(أن الله برىء من المشركين ورسوله) ماعدا (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم الى مدتهم) (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) (كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) (لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (أم حسبتم ان تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) .

كانت هذه الآيات القاطعة آخر توجيهات السماء إلى الأرض بعد أن اكتملت الشريعة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) فقد اكتمل كيان الأمة الإسلامية ، ولكننا نسينا هذه الأحكام فى ذلك الانهيار والتبعية وحيث أصبحت حياتنا بكل تفاصيلها مرتبطة بخيوط أئمة الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله حتى ان العلماء قالوا ان المشرك القادم من دار الحرب لايجوز ان يقيم فى دار الإسلام سنة وتراوح رأى العلماء بين جواز بقائه بين ٤ شهور وأقل من عام . ولو اطلع هؤلاء العلماء على حال المسلمين الآن لضربوا صدورهم بأيديهم ان خبراء المشركين يقيمون ويديرون اقتصادياتنا وجيوشنا . . الخ الخ .

القرطبـــــى :

(واحصروهم) يريد عن التصرف الى بلادكم والدخول إليكم إلا أن تأذنوا لهم فيدخلوا إليكم بأمان .

(طعنـــوا فى دينكم) أى بالاستنقـاص والحـرب وغـير ذلـك مما يفعله المشرك . واستدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن فى الدين إذ هو كافر . وقال ابن المنذر : أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبى صلى الله عليه وسلم عليه القتل . وممن قال ذلك مالك والليث وأحمد وإسحـاق ، وهو مذهب الشافعى (نتذكر فتوى الإمام الخمينى بحل دم مؤلف « آيات شيطانية » سلمان رشدى الذى سب فيه رسول الله وتطاول عليه) .

(أئمة الكفر) قادة الكفر ورؤساؤه (وليجة) بطانة والمعنى واحد نظيره (لاتتخـذوا بطانـة من دونكم) والمقصـود بطانـة من المشركـين يتخذونهم ويفشون إليهم أسرارهم ويعلمونهم أمورهم !

(ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخـش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) .

بعد أكثر من ١٤ قرناً من نزول القرآن تأتى قوات أمريكية وغربية مشكلة من الكفار واليهود والنصارى بدعوى حماية بلاد المسجد الحرام !!

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا آباءهم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) .

القرطبـــــــى :

خطاب لجميع المؤمنـين كافة وهى باقية الحكم إلى يوم القيامة فى قطع الـولاية بين المؤمنين والكافرين ، وقد أضافت بالمقارنة مع الآيات المشابهة عدم استثناء الأقارب الآباء والاخوة وليس هناك أقرب إلى الانسان من الأب والأخ .

(يا أيها الذين أمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد

عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يُغْنِيكُم الله من فضله إن شاء ان الله عليم حكيم) .

القرطبـــــــى :

المسجـد الحـرام يطلق على جميع الحـرم ، أما جزيرة العرب وهى مكة والمدينة واليمامة واليمن ومخاليفها فقال مالك يخرج من هذه المواضع كل من كان على غير الاسـلام ولا يمنعـون من التردد بها مسافرين . وكذلك قال الشافعى رحمه الله غير انه استثنى من ذلك اليمن . ويُضرب لهم أجل ثلاثة أيام كما ضرب لهم عمر رضى الله عنه حين أجلاهم .

وهكذا تتضح حرمة وجود القوات الأمريكية فى جزيرة العرب .
(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) .

قاتلوا المشركين مجتمعين غير مفترقين ، مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم هم بدورهم موحـدين متكـاتفين على صعيد واحد . وبمفهوم المخالفة لا تتفرقوا وتخلطوا المواقف بين المؤمنين والمشركين . ويجب أن يكون كل خندق واضحاً بلا لبس ولا تداخل .

ونكتفى بالتفسيرات السابقة ونثبت باقى الآيات المماثلة فى حكمها :

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكـم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (٤٧) التوبة .

(إن تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) (٥٠) التوبة .

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النار وما لكم من دون الله من أولياءَ ثم لا تُنصرون) (هود ١١٣) .

(فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) (الفرقان ٥٢) .

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) العنكبوت) (٤١)

(يا أيهـا النبى اتق الله ولا تُطِع الكـافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما) (الأحزاب ١) .

(ولا تطعْ الكـافـرين والمنـافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) (الأحزاب ٤٨) .

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد) . (الزمر ٣٦) .

(إنهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بَعضُهم أولياءُ بعض ، والله ولى المتقين) (الجاثية ١٩) .

(ألم تر إلى الـذين تولَّـوا قوماً غَضِبَ الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) (المجادلة ١٤) .

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءكم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (المجادلة ٢٢) .

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوَّكم أولياءَ تُلْقُون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تُسرُون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

(الممتحنة ١)

(إنـما ينهـاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولَّوْهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

(الممتحنة ٩)

(يا أيها الذين أمنوا لاتتولَّوْا قوماً غضب الله عليهم قد يئِسوا من الآخرة كما يَئِسَ الكفار من أصحاب القبور) .

(الممتحنة ١٣)

عذر مرفـــــوض :

ولا عبرة بما قد يسوقه البعض دفاعاً عن موالاته للذين كفروا ، بأنه إنما يفعل ما يفعل حماية لأولاده أو ذوى قرباه فكل ذلك لايدفع عن الإنسان يوم القيامة لقوله تعالى :

(ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوءِ وودّو لو تكفـرون . لن تنفعكم أرحـامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصِلُ بينكم والله بما تعملون بصير) .

(الممتحنة ٢ ـ ٣)

حـكـــــم الدين :

والآن ماهـو حكم الـدين فى جحـافـل القـوات الأمـريكية والبريطانية والفـرنسية وغـيرهـا من القوات الغربية الجاثمة على أرض الجزيرة العربية وبعض امـارات النفط فى الخليج ، وهى على وشك ان تتجاوز ١/٢ مليون جندى مدججين بأحدث أسلحة الدمار التقليدية والنووية بالإضافة لعشرات القطع البحرية العسكرية فى الخليج ومئات الطائرات الحربية بدعوى الدفاع عن الأراضى المقدسة ضد غزو عراقى محتمل .

هذا ما سنتناوله فى الصفحات التالية .

حكـــــم الدين

فى الحشـــود العسكرية الغربية فى الخليج والجزيرة العربيـة

من نتـائج أزمة الخليج أنها فتحت الملفات المغلقة وما أكثرها . . وعلى رأس هذه الملفات قضية موالاة الكافرين والمشركين . . فهذا التعبير اللغوى الفذ الذى جاء فى كتاب الله عز وجل . . من آيات اعجازه . . فالموالاة فى اللغة العربية . . تتراوح بين الملاطفة والتودد مروراً بالصداقة والحب والثقة انتهاء بالنصرة أو الاستنصار . . وهكذا نجد لفظاً واحداً يحتمل كل هذه التلاوين من الدرجات . . ومن مستويات التحالف والتعاطف والتآلف . .

والطريف أن كبار المفسرين لم يخطر على بالهم مسألة الاستعانة « بالكفار ضد المسلمـين » فجنحـوا فى تفسـيراتهم إلى المستويات الدنيا من التعاون كالملاطفة والتودد والتناصح . . ووضع الكافرين موضع الثقة .

ولكن عظمة التشريع الإلهى ، وضعت من النصوص ما يحتمل مختلف المواقف بما فيها هذا الموقف الشاذ الذى نحياه الآن . . وان لم يكن فريداً فقد تكرّر فى كل عهود تراجع الحضارة الإسلامية . . خلال الغزوات الصليبية ، وخـلال فترة الانهيار بالانـدلس . . حيث تحالفت إمـارات إسـلامية مع الاستعمار الصليبى ضد امارات إسلامية أخرى !

وبـالتـالى فإن المـوالاة لغـوياً تشتمـل على هذا الاحتـمال أى التحالف العسكرى ضد المسلمين . . مع ملاحظة أن كثيراً من هذه الآيات كانت تنهى عن موالاة المشركين فى جهاد المسلمين ضد مشركين آخرين ! ! كالركون إلى يهود المدينة فى الجهاد ضد مشركى مكة . ولم تنص أى آية بشكل قطعى على رفض المـوالاة الحـربية ضد المسلمين لأن القرآن منزل إلى عقلاء . . فكيف يمكن لمسلم ان يستدعى مشركاً لمحاربة مسلم . ويظل مسلماً !؟!

(ومن يتولهم منكم فإنه منهم) صدق الله العظيم .

نقـول ان أهمية فتح هذا الملف لاتقتصر على مسألة الحشود العسكرية الأمـريكية والغربية التى تدفقت ومازالت تتدفق إلى أرض الجزيرة العربية رغم الخطورة الفادحة لذلك . . ففتح ملف (عدم موالاة المشركين) يعنى مراجعة ما تعودنا عليه فى حياتنا اليومية باعتباره من البديهيات . . الاعتماد فى السياسـات الاقتصادية على تعليمات صندوق النقد الدولى . . والبنوك الصهيونية العالمية . . ونصائح الولايات المتحدة . . والركون بلا حدود إلى المستشارين والخبراء الأجانب فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا . . ووضع كل أسرارنـا العسكـرية فى أيديهم . . واعتـمادنـا فى التسليح على ما تجود به مخططاتهم . . الاستـدانـة منهم بلا حدود . . واجـراء منـاورات عسكرية معهم . . الخ الخ إلى أخره من الأمور التى ليست الآن محل بحثنا . . ولكننا نشير اليها باعتبار ان اجتياح القوات الأمريكية لأرض الجزيرة العربية جاء فى سياق موالاة الغرب التى ينتهجها حكام المنطقة منذ سنوات ولم يعد باقيا سوى أن تقـوم الدول الغربية بحماية الأمن المباشر لأنظمة الحكم العربية وفض المنازعات بين الدول العربية ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

تطبيق أحكام القرآن على احداث الخليج :

ولنبـدأ بتتبع أحداث الخليج من زاوية موالاة المشركين والتى لم يستطع « علماء » السلطان ان يجدوا أى مبرر لها من القـرآن . . فقـالـوا انها حالة الضرورة . . والقاعدة الفقهية تقول (الضرورات تبيح المحظورات) .

ولنبدأ أولا بقضية استدعاء القوات الأمريكية . .

ليس صحيحـاً أنـه كان هناك استدعاء للقوات الأمريكية . . بل لقد فرضت أمريكا وجودها العسكرى على حكام الخليج والذين لايمكنهم ان يردوا لها طلبـاً . . طالما أن الأمر يمس المصالح الحيوية الامريكية . وهل يمكن من الناحية النظرية تصور ان ترفض السعودية الطلب الامريكى . . وكل أموال السعودية فى البنوك الامريكية . . وكل النظام الأمنى والعسكرى فى السعودية والخليج قائم على التعاون الوثيق مع الجيش الامريكى (لاحظ تصريحات الامريكيين بأنهم متواجدون فى المنطقة منذ عام ١٩٤٧) .

وهـل يمكن تخيل أن حشد نصف مليون جندى أمريكي وما يصاحب ذلـك من تكلفـة سياسية وعسكـرية ومالية عالية كان قراراً سعودياً ؟! أو عربيا ؟! ان الاجـابـة على هذا السؤال بنعم . . تعنى منتهى السـذاجـة السياسية مع افتراض أكثر درجات حسن النية !

إن القرار كان أمـريكيا واتخـذ الغـطاء السعـودى . . فى إطار تخويف السعودية من احتمال غزو عراقى . . وتؤكد الآن كثير من المصادر الغربية ان هذا الغزو لم يكن وشيكاً . . ولا محتملاً .

وتسـوق مجلة نيوزويك فى عددهـا الصادر ١٧ سبتمبر ١٩٩٠ الحقائق التـالية التى استقتها من الادارة الامريكية ولم تنفها السعودية ولا أى دولة أخرى . . تقول المجلة الامريكية وثيقة الصلة بالادارة وبالمخابرات الامريكية :

انه فى ٦ أغسطس : سافر وزير الدفاع الأمريكى إلى السعودية لمقابلة الملك فهد وكان بوش ـ فى سلسلة من المكالمات الهاتفية مع فهد ـ قد ناقش بالفعل ارسال قوات أمريكية إلى المملكة . خطة بوش (لاحظ تعبير خطة بوش) كانت تتمثل فى اصدار تعليمات سرية بارسال قوات إلى المنطقة فى وقت لاحق من يوم الاثنـين ٦ أغسـطس . وبـدأت القوات بالتحرك يوم الثلاثاء ٧ أغسطس على أن يعلن بوش هذا القرار يوم الأربعاء ٨ أغسطس ، صباح يوم الأثنين ٦ أغسطس اتصل وزير الخارجية الأمريكى بيكر بنظيره السوفيتى . . ليخبره بالتحرك العسكرى . . ودار حوار حول امكانية مشاركة السوفيت بقوات بحرية أو برية . . ولم يجر الحديث عن استئذان السعودية فى ذلـك !! وكـانت العلاقات الدبلوماسية مازالت مقطوعة بين السوفيت والسعودية فى ذلك الوقت . .

وهكـذا فإن الحقـائق تتحـدث عن نفسهـا . . ودعـونا إذن من قضية استـدعـاء أو الاستعـانـة بالقوات الامريكية . . نحن أمام احتلال وغزو أمـريكى لأرض الجـزيرة العـربية . . وان الحصـول على الموافقة الشكلية للحاكم العربى ليس بالأمر الجديد فى التاريخ الاستعمارى الطويل ، ، فغالباً مادخلت جيوش الغزاة بطلب من ثم بمساندة حكام محليين .

ومع ذلك فإننا سنواصل الجدل لتتبع باقى الحجج . . وليس لاننا نسلم بان السعودية بمطلق حريتها قررت الاستعانة بالمشركين !!

قال الكاتب « الفذ » خالد محمد خالد فى حديث تلفزيونى . . من قال إنها قوات « أجنبية » بل هى قوات «دولية» ،/وهذا بالطبع نوع من الهزل . . ولكنه أراد أن يكون « جاداً » فقال انهم ليسوا بمشركين أو كفار . . انهم أهل كتاب !!

وهكـذا فإن الاستـاذ / خالد يتخبط فى أيامه الأخيرة وكأنه يحنّ لأيامه الخوالى . . ويتلاعب بثوابت الدين . . أو ماهو معلوم من الدين بالضرورة . .

فقـد ذكـرنا فيما سبق من الآيات ان القرآن ينهى عن موالاة الكفار أو المشركين أو المنافقين أو أهل الكتاب من دون المؤمنين . وفى هذا الرد الكافى على « سعـادته » ونحن لانريد ان نخرج عن موضوعنا (لمواجهة حالة من الهذيان ألمت بأستاذنا) فالموقف الإسلامى من أهل الكتاب على قدر عظيم من الأهمية . . ولكننا فى عجالة . . وبما يمسّ موضوعنا . . نقول باختصار ان المـوقف القـرآنى لم يتحدث عن أهل الكتاب ككتلة واحدة وانما فرقت عشرات الآيات بين صنفين من أهل الكتاب . . ولا نقصد التفرقة العامّة بين اليهود والنصارى ولكن أيضاً التفرقة بين نوعين من أهل الكتاب من زاوية التقوى . . ولابد من الاشارة الى ذلك حتى لايفهم أحد ان معاداة الاستعمار الامريكى تعنى معاداة أهل الكتاب من أهلنا فى مصر .

وأضرب مثالاً (ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) (آل عمران ١١٣) (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) (آل عمران ١١٥) .

نعم ليس أهل الكتاب سواء . .

(ومن أهـل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك الا مادمت عليه قائماً) (آل عمران ٧٥) وهكذا فإنهم ليسوا كتلة واحدة . ولكن كيف نميز بينهم ؟ هل سندخل فى قلوبهم ؟! لا

بالطبع فالله وحده المطلع على القلوب . . ولكن لنا الأعمال الظاهرية . . أما بالنسبة لموضوعنا فإن الآية الكريمة تفصل فيه . .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

وليكن الأمريكيّون أهل كتاب . . ولكنهم من الصنف المعتدى . . الذى أخرجنا من ديارنا وظاهر على اخراجنا . . وهم محاربون وأعداء . . وليسوا أهـل عهد ولا ميثاق ولا ذمة ، فلولا الدعم الامريكى المكثف لما استطاع الكيان الصهيون ان يجثم على أرض فلسطين والقدس والمسجد الأقصى .

وبالاضافة لذلك نحن لاندرى ما علاقة السلطة والسياسة الامريكية بالانجيل ؟!

ما علاقـة المسيحية بشن الحـرب واستعمار العالم . . وألا يضم الجيش الأمـريكى يهوداً وكفـاراً يعلنـون كفـرهم على الـطوائف المختلفة المشهورة والمنتشرة فى أمريكا . . لنتجاوز إذن هذا التشويش . . أن الامريكان أهل كتاب . . لنبحث عن حجج أخرى ربما تكون أكثر جدية . لاننا نتعامل مع السلطة المادية الامريكية لا مع الافراد الامريكيين المتناثرين . .

حالة الضرورة . . وانعـدام البديل :

يصرخ كثير من أنصار القوات الأجنبية بالقول . . وماذا كان البديل ؟! انها الضرورات التى تبيح المحظورات . .

البـدائـل العربية والإسلامية كانت متوفرة ولكن الحل الأمريكى فرض علينا فرضاً . . كما ذكرنا يوم ٦ أغسطس ، بينما اجتمع مؤتمر القمة العربى يوم ١٠ أغسـطس فبـدلاً من أن يبحث عن حل عربى . . ارتضى الحل الأمـريكى . . ووافقت الحكـومـات فى مصر وسوريا والمغرب على تغطيته بقوات رمزية . .

ونحن نقول وبعد مضيّ شهور على احتلال وضم الكويت . . وانتفاء خطر الغزو العراقى للسعودية . . ماهى الخطوات التى اتخذت لاستبدال قوات عربية وإسلامية بالقوات الأمريكية التى جاءت على عجل لانقاذ الموقف ؟ وهل تشكيل قوة إسلامية رادعة مسألة تحتاج لسنوات ولقرون ؟! ان مؤتمر علماء المسلمين فى مكة دعا الى تشكيل هذه القوات . . وهل تحتاج هذه القوات لأكثر من شهرين أو ثلاثة . . ألا تتشكل من جيوش قائمة بالفعل تم إنفاق عشرات المليارات على تسليحها . . أم إنها كانت مجهزة فقط لحماية الأنظمة من المظاهرات والهبات الشعبيه ؟!

دعنا نقول الصدق ، لو كانت العجلة . هى الأساس لكانت ايران أقرب إلى أرض السعودية من أمريكا . . وجيش ايران هو الذى صمد أمام العراق ٨ سنوات . . وكان بإمكانه أن يفصل بين الكويت والسعودية . . ولكن هل تعتبر السعودية ايران دولة إسلامية ؟! وهل كانت أمريكا تسمح بهذا ؟! لتضيع سيطرتها على نفط السعودية ؟!

البديل الإسلامى كان موجوداً . . جيوش مصر وايران وتركيا وباكستان والسعودية . . وسوريا . . وكانت أسرع فى الوصول إلى منطقة النزاع .

ويؤكد قائد الجيش الأمريكى فى السعودية انه ظل خائفا لمدة ١٠ أيام من احتمال تقدم القوات العراقية لأنها كانت ستسحق العدد القليل من القوات الأمريكية التى أمكن حشدها من أوروبا . . والواقع أن الحشد العسكرى الأمريكى لم يكتمل إلا بعد شهر من ٢ أغسطس . ومازال حتى الآن غير كامل من الناحية البرية !!

لو كان لدى العراق نية التقدم إلى السعودية لكان ذلك ممكنا وسهلاً وبأقل الخسائر فى الأيام الأولى . . ولكننا نفترض وجود هذه النية لمتابعة المناقشة .

فالبديل العربى والإسلامى كان موجوداً . . ولكن طبيعة أنظمتنا مرتبطة بشكل رأسى بالقوة الاستعمارية . . وغير مرتبطة بشكل أفقى بالدول العربية والإسلامية .

وهذا هو ماجعل البديل العربى والإسلامى غير واقعى . . إن عدم

واقعيته تعود إلى طبيعة نفس الأنظمة التى « طلبت » الوجود الأمريكى ، علاقـة السبب بالنتيجـة ونحن لايمكن ان نتجـاهـل السبب ونحن نقيّم النتيجة . الذين يقولون ان صدام حسين وبشعبه (١٧ مليون) أقوى من ٤٠ دولة إسلامية ومليار مسلم . . إذا كان ذلك حقيقياً . . فإنه يستحق أن يحكمنا . . ومن حقه أن يحكمنا . . وعلينا أن نقبل هذا . . لا نقول ان هذا يبرر وجود الأمريكان . . وأن يحكمنا المشركون والكفار .

ولكن الحقيقـة أن الجيش العراقى ليس بهذه القوة بالطبع . . والقضية ليست قوة عسكـرية مجردة ، فوجـود وحـدات من الجيوش الإسلامية على الحدود السعودية ـ الكويتية يمثل احراجاً أدبيا أكبر بكثير من عددها وكميات معداتها العسكرية . .

أما وجود قوات أمريكية . . فإنه يعطى للعراق قوة . . ويحوله إلى رأس حربـة للتصـدى للغـزوة الصهيونية الأمـريكية . . ويكسبـه شعبية عربية وإسلامية ، وتتوارى فى ظل هذا أزمة الكويت . . والخلافات حولها . .

الـذين يقـولون انه لابديل لأمريكا . . ينسون إن رسولنا عليه الصلاة والسـلام علمنا اننا أمة من دون الناس ، وأننا يد على من سوانا . . وان الخلافات والتناحر بيننا لايمكن ان ينسينا هذه الحقيقة الكلية . . (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

والقرآن الكريم يعلمنا (وان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله وإلى الرسول) ونحن عندما تنازعنا رددنا الأمر إلى أمريكا . . لا إلى الله ولا إلى الرسول . .

أمـا القـول بأن التدابير العربية الإسلامية قد لاتكون كافية نقول لماذا لاتركنون الى الله . . (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) . . ولا يمكن لأمة مؤمنة . . ان يخذلها الله . . ولكن الى أين انحدر إيماننا . . وماذا فعل بعقيدتنا وبأقلامنا النفط والمال النفطى . . وهذا ما سنأتى إليه فيما بعد . .

ورغم دفاع د . عبد الغفار عزيز عن موقف الاستعانة بالأمريكيين إلا أنه قال فى صحيفة الوفد (لو أعلنت السعودية انها تستعين بغير المسلمين لمحاربة

دولة إسلامية والاعتداء عليها لكان ذلك مرفوضاً ديناً وخلقاً لكنها لم تقل ذلك ولا تستطيع ان تقوله . . وأعلنت ان وجود قوات أجنبية ليس إلا للدفاع عن الأرض والحماية للعرض) .

ولـو استبعدنا قضية (العِرض) لأن أمريكا لاتفهم هذا المصطلح . . ويثير الضحك لدى الامريكيين باعتباره من مظاهر تخلفنا . لو استبعدنا قيام أمريكا بحماية العِرض فإن د . عبد الغفار يرفض أن تشن أمريكا عدواناً على العراق . . باعتباره مخالفاً لتعاليم الإسلام . . وله جزيل الشكر على هذا ، ، ولكن لو قررت أمـريكـا شن هجـوم عسكـرى . . هل يمكن للسلطات السعودية ان توقف القرار ؟

الحقيقـة ان السلطات الأمـريكية مترددة فى اتخـاذ قرار الحرب . . وفقاً لحساباتها الخاصة . . وحسابات مصالحها فى المنطقة والعالم . . وليس لأنها تأتمر بأوامر سعودية ! ثم ألا يشكل الحصار البحرى والجوّى بقوات أمريكية درجـة من درجـات الحـرب لمحـاصرة وتجويع الشعب العراقى المسلم . . واستناداً للقواعد الامريكية فى السعودية والخليج . وفى النهاية فإن كل متابع للسياسة يعلـم أن قرار الحرب إذا أتخذ فسيتخذ فى واشنطن ولندن وباريس وموسكو وليس فى جدة أو الرياض .

ويمكن ساعتئذ ان تدّعى القوات الأمريكية ان الجيش العراقى هو الذى بدأ . . كما فعلت اسرائيل عام ١٩٦٧ .

والغريب ان د . محمد سليم العوا يقول فى (الوفد) « ان هناك تضخيماً لمسألة القوة العسكرية الأجنبية باعتبار أنها كانت موجودة وواقعة دائماً » . . فلو انها كانت موجـودة دائـماً هل أصبح ذلك واقعاً يجب ان نقبله . وهل صحيح انـه لايوجـد فرق بين وجـود قواعد عسكرية قليلة أو بعض قطع أسطول . . وبين هذا الحشد الرهيب من القوات الذى لامثيل له منذ الحرب العالمية الثانية . . ان التحرك العسكرى الأمريكى ضخم بالفعْل ولا يحتاج إلى أى تضخيم من أحـد . . وهـل يمكن تصـور ان هذه القوة لن تخدم السياسـة الامـريكية فى المنـطقـة . . ولماذا إذن لاينزعج المسلمون ؟ وهل

صحيح كما تقول (ان غدر الشقيق أبعد ايذاءً من انتهازية العدو المتربص) وكأنك تضع خطر الشقيق العراقى فوق خطر الغزو الأمريكى . . وكيف يمكن أن نضبط هذا الرأى بمعايير وأحكام الشريعة السالفة الذكر . ؟!!

من السبب الرئيسى فى جلب هذه القوات ؟

يقول (علماء السلطة) ان العراق هو سبب مجىء القوات الأجنبية . . وبالتالى فإنه سبب البلاء . . ونحن نقول نعم ان غزو الكويت كان السبب . . ولكن بمعنى الذريعة والحجة . . فقوات الانتشار السريع معدة منذ اواخر السبعينات للتدخل واحتلال حقول النفط . . وان هذه القوات عندما تأتى فإنها تأتى فى اطار أهدافها ومخططاتها . . وهى السيطرة على نفط الخليج واخضاع المنطقة لهيمنتها . . وضرب القوة العسكرية الاسلامية والعربية ممثلة فى العراق ثم فى ايران . فالولايات المتحدة لم تترك هذه المنطقة للاحتمالات أو للصدف فقد سلحت شاه ايران لحماية الخليج وبعد سقوطه فى عام ١٩٧٩ تآمرت لاشعال الحرب العراقية الايرانية لتضرب الثورة الاسلامية فى ايران بمساعدة كل دول الخليج . وأيضاً لتضرب القوتين العراقية والايرانية بعضها ببعض حيث انها لاتأمن جانب أى منهما . وعندما انتهت الحرب تصورت أمريكا لأول وهلة أن القوتين الكبيرتين خرجتا مدمرتين وفى حاجة إلى فترة طويلة من التعمير . . إلا أن العراق لم يتخل عن خطته فى دعم قوته العسكرية وكذلك الأمر بالنسبة لايران (حصلت مؤخراً على طائرات ميج ٢٩) . وكانت أمريكا مستعدة للقيام بدور مباشر فى حراسة الخليج وهذا ما أكده بوش ووزير دفاعه فى مارس الماضى عندما تقدما بميزانية حرب كبيرة . . ولما اعترض الكونجرس على ذلك وبالاخص بعد الوفاق مع السوفيت أكد بوش ان الجيش الامريكى لديه مهام كبرى وفى مقدمتها احتمال القيام بأعمال عسكرية فى الخليج (أعلن ذلك فى مارس ١٩٩٠) .

وبدأت الولايات المتحدة والغرب فى محاصرة العراق لمنعه من مواصلة عمليات تطويره العسكرية والتكنولوجية . وبدا واضحاً ان العراق يعمل خارج السيطرة الامريكية . . وكان لابد من تحجيمه ومحاصرته . . وعملية

غزو الكويت أثبتت ان العراق لايعمل فى إطار التوجهات الامريكية ، وإنه خرج من حرب الثمانية أعوام أكثر استعداداً للنشاط فى المنطقة بالمقارنة مع ايران . . والولايات المتحدة لاتسمح بأى تحركات فى المنطقة تكون بعيدة عن السيطرة . . خاصة بعد ضياع ايران الشاه ، وبالتالى فإن مجىء القوات الأمريكية كان مقرّراً بهذه الصورة أو تلك .

وقد يقول البعض ان صدام حسين قد أخطأ لأنه أتاح الفرصة للامريكيين ان ينفذوا أهدافهم . . وحتى لو كان هذا صحيحاً . . فإنه لايبرر تشجيع أو تأييد احتلال الامريكيين للمنطقة . لانه يأتى فى إطار مخططاتهم الاستعمارية هم . . وليس فى إطار تطبيق أحكام الشريعة الخاصة بمقاتلة الباغى !!

نحن مسئولون أمام الله عن حماية أراضينا ومقدساتنا . . وعندما يحاسبنا الله . . لن نقول لله عز وجل إن صدام حسين هو السبب ! كل استعمار وله سبب مباشر أو ذريعة . . ولكنه لايسقط فريضة الجهاد ضد هذا الاستعمار . . أما الذين قد يكونون السبب فى مجيئه . . فحسابهم بعد اجلاء القوات الأجنبية الغازية .

ان قضية من السبب ؟ أصبحت فى ذمة المؤرخين . . أما نحن الذين سندفع ثمن هذا التواجد الغربى المكثف على أرضنا . . فنحن الذين سندفع الثمن . وليس صدام حسين . . نحن الذين سندفع الثمن من استقلالنا وكرامتنا . . والأمثلة لاحصر لها فى التاريخ . . فعَبْرَ كل الغزوات الصليبية . . كانت الشعوب تتصالح مع حكامها . . حتى تتم منازلة الغزاة . . وبعد دحرهم . . يأتى الحساب الداخلى . . ان القاء اللوم على النظام العراقى لايغير من أمر وجود هذه القوات الأجنبية التى تعلن انها جاءت لتبقى . . ولسنوات . . ثم بدأت تطرح فكرة الحلف العسكرى الدائم فى المنطقة . . فهل سنوافق أيضاً على الحلف العسكرى بحجة ان صدام حسين هو السبب ؟! إنه هروب من تبعات الغزو الاستعمارى الجديد الذى جاء بمحض ارادته ولن يجلو إلا رغماً عن أنفه وعبر جهاد مقدس

شرس . . لعل فصوله الأولى قد بدأت بالتحركات الشعبية فى كل مكان من المحيط الى الخليج . .

تقول الكاتبة السعودية سهيلة حماد ان السعودية ليست فى حالة حرب مع انجلترا وأمريكا الأمر الذى يجيز شرعاً الاستعانة بقواتهما . .

هذه بالتحديد هى الطامة الكبرى . . فالوضع الطبيعى ان تكون دولة الجزيرة العربية فى حالة حرب مع الأب الروحى والمادى لاسرائيل التى تحتل القدس وتهدد باحتلال مكة والمدينة وفقاً لخريطة اسرائيل الكبرى . . انها الطامة الكبرى ياسيدتى . . ان السعودية لم تشارك بصورة عسكرية جدية ضد اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . . وبالتالى لم تجد نفسها فى حالة حرب مع أمريكا . . ان أمريكا هى العدو الأول للشعب العربى المسلم بمساندتها المطلقة لاسرائيل ولولا وقوف أمريكا خلف اسرائيل لهزمت شر هزيمة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . ولتم تحرير الجولان والقدس . . وأمريكا هى التى تدعم استمرار احتلال اسرائيل للضفة وغزة وجنوب لبنان . .

إنه كما يقال عذر أقبح من ذنب . . ويأتى من أين ؟ من موطن رسول الله . . البقعة التى انبعثت منها الدعوة الاسلامية . . وكانت موطناً للجهاد . . وأخرجت المجاهدين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها . . فهل نحن أمام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه (جاء الاسلام غريباً وسيعود غريبا فطوى للغرباء) .

أصبح الجهاد غريباً فى منبت الدعوة . . وأصبح التنكر للجهاد حجة لاستدعاء الأعداء . . الذين أصبحوا أصدقاء . . وذلك رغم ان عدد سكان المملكة يمثل ثلاثة أو أربعة أمثال عدد سكان إسرائيل . . وامكانياتها المادية أضعاف أضعاف ميزانية اسرائيل . . ان عدم وجود حالة حرب بين السعودية . . واسرائيل وأمريكا هو الطامة الكبرى ياسيدتى . .

ولو كانت السعودية وباقى الدول العربية تواصل الجهاد ضد الصهاينة ما كان هناك أى موضع للنزاعات الداخلية بين الدويلات والامارات العربية ،

وبدلاً من أن نفيق من الصدمة لنتجه إلى الحق إذا بنا نلقى بأنفسنا فى أحضان الأعداء (لأننا لسنا فى حالة حرب معهم) !

** * * **

الاســـــتعانة بسلاح الكفار . .

د . عبد الغفار عزيز يعقد مقارنة غير مقبولة حين يقارن بين الموافقة على وجود نصف مليون جندى أمريكى . . وبين شراء الاسلحة من الكفار . . فما وجه المقارنة بين عملية بيع وشراء . . لسلاح يستخدمه جيش مسلم . . وبين استدعاء جيش أمريكى يتبع القيادة الامريكية . . إن هذا ليس استعانة بسلاح انه استعانة بارادة قتالية وسياسية مرتبطة بالمصالح التى يمثلها هذا الجيش الأمريكى . . لا وجه للمقارنة ياسيدى الدكتور بين الحالتين . . والفرق بينهما واضح وضوح الشمس .

ويقول البعض لو انسحب العراق من الكويت ، ثم لم يخرج الامريكان نعلن الجهاد المقدس ضد الامريكيين . . وهذا نوع من خداع النفس . . فهل يثق أصحاب هذا الرأى فى أمريكا . . وهل من المنطقى ان نعطى شرعية للقوات الأجنبية وبعد ان تتمركز فى بلادنا نعلن الجهاد المقدس ضدها . . ان فى هذا قلباً للأمور . . ولو كانوا أمناء مع أنفسهم . . حتى لو كانوا لايثقون فى صدام حسين مثقال ذرة . . فإن الواجب يحتم عليهم المطالبة بالانسحاب المتزامن . . إنها ليست قضية صدام حسين . . والقوات الامريكية جاءت بقرارها هى - وبنية البقاء . . وبنية تدمير القوة العربية .

ان الذين اعترضوا على احتلال الكويت لايجب ان يطالبوا الآن بانسحاب عراقى إلا إذا كان متزامنا مع انسحاب القوات الامريكية . . وإلا فإنهم يعطون أفضلية سياسية عسكرية لهذه القوات التى لا تأتمر بأوامرهم ولا بأوامر الحكام العرب .

ليس الأمر كما يقول خالد محمد خالد الذى يكرر الثناء لبوش وجورباتشوف وتاتشر (ان القوات الأجنبية سينهى وجودها لا محالة انهاء الاحتلال العراقى للكويت) من أين أتيت بكل هذه الثقة بالأمريكان . .

وبناء على أى ممارسات سابقة لهم . . وهم يعدون بدفع حركة السلام لتحرير الأرض المحتلة منذ ٢٣ عاماً . . !!

وبعـد ان خط المشيب رأسك مازلت مخدوعاً بالأمريكان . . انها حالة لايرجى لها شفاء . أما الأمريكيون فهم صرحاء ويقولون إننا باقون .

وقد وافقنا فى الرأى الذى نذهب إليه البيان الذى أصدره عدد من العلماء والمفكـرين والمثقفين المسلمين ونشر فى الأهرام بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢١ . . جاء فيه بالحرف . . (انه إذا كانت جريمة احتلال الكويت وتغيير نظامها بالقوة والحاقها بالعراق قسراً هى منكراً شديداً تنبغى مقاومته وتغييره باليد والقلب واللسـان فان هذه المقاومة وذلك التغيير ينبغى أن يظل دائماً وأبداً أعـمالاً عربية وإسـلامية خالصة ، لأن موالاة الأجنبى واللجوء الى تدخله وخاصةً إذا كان سجله حافلا بالتنكر السافر لحقوقنا والعدوان المستمر على مصالحنا . والكيل بكيلين مختلفين فى تعامله مع قضايانا وفى مقدمتها قضية فلسطين ، هو لجوء إلى منكر لايقل شراً ولا خطراً وارساء لسابقة من شأنها ان تفتح الأبواب واسعة أمام المزيد من التدخل الأجنبى فى شئوننا ، بما يهدد الأمل فى إقامة نظام عربى مستقل تحركه ارادات عربية ويوجهه الحرص على المصالح العربية .

إننا ننبه إلى أن التدخل الأجنبى فى شئوننا يستهدف ـ أولاً وأخيراً ـ حماية المصـالح الأجنبية ولو أدى ذلك إلى تحطيم قوة كل الشعوب العربية ومنها شعب العراق الشقيق .

وكان فى مقدمة الموقعين على هذا البيان الشيخ محمد الغزالى ود . يوسف القرضـاوى .

الحـكـــام أدرى بشئوننا !!

مفتى الديار المصرية . . سيد طنطاوى . . لاينفرد بفتوى واحدة لتبرير سياسات الحكم . . وفى هذه المرة يقول . .

(لأولياء الأمـور فى الـدولـة الإسلامية ان يستعينوا بغير المسلمين ، إذ

الضرورات تبيح المحظورات ، كما أنه من المقرر شرعاً ان الضرورة تقدر بقدرها . . والذين يقدرون هذه الضرورة وحدودها ، هم أولو الأمر فى كل أمة ، إذ هم أعرف الناس بما ينفع أمتهم وما يضرهم) .

وهكذا كفى الله العلماء « شر » الافتاء !! فالحكام أدرى ؟! أى حكام هم هؤلاء ياسيدى المفتى . . وما علاقتهم بتطبيق شريعة الله . . حتى تعطى لهم شيكاً على بياض !! ثم لماذا تؤيد ماليس لك به علم ؟! إذا كان الحكام يحترمون حقاً العلماء . . لأخذوا برأيهم قبل اتخاذ أخطر القرارات أو حتى أصغرها . . ولأشركوا العلماء معهم فى تقدير « الضرورات » التى تبيح « المحرمات » . .

وماذا ستقول لله يوم الحساب ؟! ستقول لقد فوضت الحكام ان يقدروا الضرورة . . حقاً إذا كان الحكام العرب يعرضون كل كبيرة وصغيرة على الأمريكان ولا يعرضونها على العلماء . . فكيف للعلماء ان يثقوا بأولى الأمر ؟! ويوالوا اصدار بيانات التأييد لهم .

القوات الأمريكية معاهدة :

ويقول شيخنا الجليل شيخ الأزهر (الذى كانت له وقفة رائعة فى قضية الربا) ان القوات الأمريكية قوات معاهدة ! جاءت لرد العدوان ورفع الظلم ، وهكذا فإن الأزهر الذى تصدى بالكلمة والفتوى والسلاح والمظاهرات والعصيان للغزو البونابرتى . . وصل به الحال فى زمن التردى ان يصف اعداء الأمة بالمعاهدين . . أى الذين يوجد ميثاق بينهم بين المسلمين (بمعنى معاهدة عدم اعتداء بالمصطلحات الحديثة) .

والميثاق أو المعاهدة التى نعرفها هى معاهدة الدفاع الاستراتيجى بين أمريكا واسرائيل . . فهل اختلط الأمر على مشيخة الأزهر فخلطت بين السعودية واسرائيل ؟!

ياشيخنا الجليل يقول الله عز وجل (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) صدق الله العظيم . . فإسرائيل أخرجت

المسلمين من ديارهم . . وظاهرت أمريكا اسرائيل على اخراجهم ويوماً بعد يوم ترتكب المذابح على أعتاب المسجد الأقصى . . ومنذ مدة قصيرة سقط فى لحظة واحـدة ٢٣ شهيداً مسلماً وألف جريح فى مذبحـة داخل المسجد الأقصى . . وخـطة تهويد القدس تسيرُ على قدم وساق بتمويل أمريكى ـ وسلاح أمريكى ـ وبمساندة الفيتو الامريكى فى مجلس الأمن ، متى كانت أمريكا ترد العدوان والظلم ؟! هل يتخلى الأزهر عن مهمة تبصير المسلمين بأعدائهم الحقيقيين ؟!! .

أن أمـريكا هى العدو الأول للإسلام . . وهى تقود الحلف الاطلسى الغربى . . وتتحالف مع السوفيت فى محاربة العالم الإسلامى . . وهى التى تعــطل أو تحاول تعـطيل تطبيق الشريعـة الإسـلامية فى مختلف البلدان الإسلامية التابعة لها والتى تأكل من معونتها كثمن لهذه المعونة المشينة .

ســـــلاح التكفير :

لم يبق سوى سلاح التكفير . . تكفير حكام العراق . . ووصف صدام بأبـرهـة الحبشة . . ونحن من المعارضين لفكر حزب البعث العلمانى . . ولكننـا نرفض استسهال اللجوء لسلاح التكفير . . لأن التكفير سلاح ذو حدين وينقلب على مستخدميه . . لأن معظم الحكام العرب علمانيون ، ولا يطبقون الشريعة الإسلاميـة . .

وإذا استخـدم « الكبار » سلاح التكفير ـ وقد استخدموه من قبل ضد الإمام الخمينى وحكام ايران . . فلا ينزعجوا بعد ذلك عندما يتحرك بعض الشباب فى مصر وغيرها . . تحت شعار التكفير . . فلا داعى اذن لفتح هذا الباب . . باب الفتنة ، لتبرير استقدام القوات الأجنبية .

كلمـــــــات الحق :

وأخيراً فإن كلمات الحق تظهر وسط تصريحات التأييد . . يقول الشيخ الشعراوى فى أخبار اليوم ١٨/٨/١٩٩٠ . .

(إننا تركنا الأمور تتداعى وتتدنّى الى نقطة تدخل عندها الأجنبى . . واعتمدنا على قانون المنظمات الدولية حيث ارتضى كل طرف ان يعيش فى

كنف القـوانـين الـوضعية بعيداً عن قانـون السـماء ، ولو نجح المسلمون وأخلصوا دينهم لله فى جلسة القمة الطارئة التى عقدت بالقاهرة . . ما تدخل الأجنبى) . .

وهنـــا نجـد الاتهـام عامـاً لمختلف الاطـراف التى ارتضت القـوانـين الوضعية . . وتحمل مختلف الأطراف مسئولية مجىء الأجنبى .

اننا حقاً أمام أخطر غزوة صليبية فى تاريخ الإسلام . . وليس هذا محاولة للتقليل من أهمية مشكلة الكويت . . إننا أمام حملة تستهدف السيطرة على مقـدراتنـا من المحيط إلى الخليج وتحصـل على شرعية من عدد من الدول العربية والإسلامية . . . وان الجهاد المقدس أصبح فرض عين . . على كل مسلمـة ومسلمـة . . لتحـرير أمتنـا الإسـلامية من الغـزاة الصهـاينـة فى فلسطين . . والأمريكان فى جزيرة العرب والخليج . . أما أوضاعنا الداخلية كعرب وكمسلمين فهو شأننا الخاص . . ونتمنى فى خضم الجهاد ان نتجاوز خلافات الحدود . . والحقوق القومية التاريخية . . إلى توحيد الأمة الاسلامية فى دولة واحدة بإذن الله . .

* * * * *

ويبقى بعـد ذلـك ان ننتقـل الى مهمـة رد العدوان عن السيرة النبوية الشريفـة . . والـذى تمثـل فى تشـويه السـيرة . . وتقـديم انتصار الدعوة الاسلامية على انه تم بمناصرة المشركين . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * * * *

هل تقرّ السـيرة النبويـة
الاستعانة بالمشـركين ضد المسلمين ؟!!

لم يجد علماء السلطان فى الدستور القرآنى . . أى آية كريمة أو ظل أية . . يشير إلى جواز الاستعانة بالمشركين . . فلجأوا للافتئات على السيرة النبوية الشريفة . . وعلى أحكام السنة المكرمة . . ليجدوا فيها بعض الأمثلة . . أو الروايات يؤولونها بما يخدم قرارات البيت الأبيض الأمريكى وبعض الحكام العرب . والمغالطة الجوهرية ان كل ما اعتصرته ذاكرتهم من روايات لاتتعلق بالاستعانة بمشركين ضد مسلمين . . ولكنها استعانة لمصلحة المسلمين عامة أو فى جهادهم ضد مشركين آخرين لنشر الدعوة . . وبالطبع لن نجد فى السيرة النبوية الشريفة أى حرب ضد مسلمين !!! ويا أسفاه على من باع علمه للسلطان أو للبترو دولار . .

وقبل أن نورد الأمثلة التى احتجوا بها من السنة النبوية الشريفة نبدأ بعدد من الضوابط . . التى يجب ان تحكم تفكيرنا . .

ان قضية الاستعانة بمشرك مسألة عامة ولا يجب ان تطلق على عواهنها وإنما تتم - إن هى جرت وفقاً للسنة الشريفة بناء على عدد من الضوابط . .

١ ــ استعانة محدودة . . فى مهمة عملية . . قائمة على أساس المصلحة . . أو بأسلوب الاستئجار .

٢ ــ تتم على أساس السيطرة الكاملة للطرف المسلم وبما لايتعارض مع مصلحة الاسلام والمسلمين ،

٣ ــ التفرقة الواضحة والقاطعة بين غير المسلمين الذين يعيشون فى مجتمع الاسلام ويرتضونه ولا يحاربونه ويكتسبون بذلك حق المواطنة . . وبين غير المسلمين فى دار الحرب :

فبالنسبة لهؤلاء الأخيرين فإن ضوابط الاستعانة أشد وأقسى . . وهى لا تخرج عن حالتين . .

١ ــ حالـة الاستعـانـة الفـردية (على طريقـة الاستعانة بخبير أجنبى للضرورة وبقدر هذه الضرورة) .

٢ ــ حالـة عقـد ميثـاق مع أى قوم من غير المسلمين (معاهدة عدم اعتداء) وهى أقرب إلى الحالة السلبية وان تضمنت أحيانا المساهمة فى القتال ضد جماعة أخرى من المشركين . ولنبدأ باكتشاف ان ما ورد فى السنة النبوية الشريفـة كان منضبـطاً بكل هذه القواعد . ولنتأكد من الظلم المتمثل فى الاستعانة ببعض روايات السيرة لتبرير الاجتياح الأمريكى والغربى لأرض المقدسات . وسنكتفى ببعض الأمثلة القليلة . .

الهجـــرة إلى الحبشـــة :

من المؤسف ان تتم مقارنة بين الاجتياح الأمريكى بنصف مليون جندى للأراضى العربية . . بلجوء عشرات من المسلمين الى النجاشى ملك الحبشة .

ماهو وجه المقارنة بين النجاشى وبوش ؟! وما هو وجه المقارنة بين قدوم قوات مسلحة تتحكم فى مصائر المسلمين ، وبين لجوء سياسى عند ملك نصرانى عادل ! اتقوا الله . . . . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو خرجتم إلى أرض الحبشـة إن بها ملكـاً لايظلم عنـده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) .

وعنـدمـا سمـع النجاشى لأيات القرآن من المهاجرين إليه بكى حتى اخضلّت (ابتلت) لحيته وبكت أساقفته ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وفيما بعد ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم موت النجاشى صلى عليه واستغفر له . ولا ندرى ماهو وجه المقارنة بين حكم النجاشى . . وحكم بوش ، بين من يحمى المسلمين المهاجرين ويرفض تسليمهم للمشركين . .

وبـين السلطة التى تحارب الاسـلام فى عقر داره . . ماهذا الافتئات على السنة . . والسيرة العطرة . . ما هذه الاستهانة ؟! وما هذا البيع الرخيص لجواهر السنة مقابل الحياة الدنيا ؟!!!

وما علاقة هذا المثال بالاستعانة بأكبر قوة مسلحة أمريكية ضد فريق من المسلمـين فى القرن العشرين . . قوة تعمل تحت قيادة مادية تأتى لتحقيق مصالحها . . ولا تعمل تحت إمرة من يدعون انهم استدعوهم .

توجه الرسول إلى أهل الطـــائف :

ومما يؤسف له إشارة علماء السلطة إلى توجه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أهل الطائف المشركين كى يستجير بهم من مشركى مكة . . ومرة أخرى نفس التزييف ولوى عنق الحقائق . . فالرسول عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أهل الطائف كى يدعوهم للاسلام وبالتالى يحتمى ويتقوى بهم من جراء ذلك . . أى من جراء تحولهم إلى الإسلام . .

ولم يلجأ إليهم كمشركين طالباً منهم الأمان !

جاء فى سيرة أبى هشـــــام :

خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل . واجتمع مع سادة ثقيف وأشرافها فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام .

فلقى الرسول منهم ما كره فقال دعاءه الشهير :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى . . . .) .

وكان سادة ثقيف قد أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمـع النـاس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة . . الخ

وهكذا فلم تكن استعانة ولكن دعوة إلى سبيل الله . . والقوم صدوا عن سبيل الله . . فما وجه المقارنة رحمكم الله ؟!

مطعم بن عدى يجيـــر الرسول :

وما وجه المقارنة بين دخول الرسول عليه الصلاة والسلام فى جيرة مطعم بن عدى المشرك حماية له من مشركى مكة وبين اجتياح مئات الألوف من قوات المشركين لأرض نجد والحجاز . . ما الذى جرى لشيخنا متولى الشعراوى حتى يورد هذا المثال ؟!

والحقيقة إن إجارة مطعم بن عدى لم تصلح كقاعدة لانتشار الدعوة ، فما هى إلا أيام . . وأذن الله للرسول بالهجرة من مكة بأسرها (البداية والنهاية ـ ابن كثير) .

نحن أمام استعانة محدودة بمشرك لايحارب الاسلام ولا شخص الرسول ضد مشركين آخرين يحاربون الإسلام وشخص الرسول عليه الصلاة والسلام . . وقد استمر هذا لبضعة أيام .

لقد تعلمنا فى الفقه ان للقياس أصولاً . . تقوم على التشابه والتماثل فى الوقائع . . التماثل ـ مثلاً ـ بين واقعة حدثت فى عهد الرسول وتصرف فيها أو حكم بحكم معين . . وبين واقعة مستجدة تندرج تحت نفس النوع . . فأين التماثل بين هاتين الواقعتين ؟!

الاســـــتعانة بدليل مشـــرك :

ونفس الشىء ينطبق على مثال استعانة الرسول بدليل مشرك فى رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة . فهنا نجد نوعاً من الاستئجار لمشرك واحد فى مهمة محددة ومؤقتة . وهذا قد يساعدنا فى أن نحل الاستعانة بمشرك فى البحث عن البترول . . أو غيرها من المهام العملية التى تحتاج لخبير لايوجد مثيله بين المسلمين . . وهو استئجار فى مهمة عملية تحت السيطرة لاضرر منها على الاسلام فى شىء بل فيه كل الفائدة .

صحيفة المدينـــــة :

وهكذا نجد الاستنادات متهافتة من زاوية صلتها بالذى يجرى الآن على أرض الجزيرة العربية ومع ذلك نواصل .

صحيفة المدينة مع اليهود ، بمثابة دستور لدولة المدينة . . وهو دستور رائـع من زاوية تحديد المواطنة فى الدولة الاسلامية . . فى مجال المساواة فى الحقوق المدنية والالتزامات الامنية والدفاعية للرعايا اليهود داخل المدينة . وقد ظل الرسول على عهده معهم حتى نكثوا هم العهد فكان طرد القبائل اليهودية تباعاً من المدينة حتى تطهرت منهم .

وبـالتالى فنحن ازاء قضية أخرى غير الاستعانة برعايا بل جيوش دولة أجنبية معادية ، وينطبق نفس الشيء على التحالفات التى أقامها الرسول (ﷺ) ومن بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع بعض القبائل النصرانية التى ارتضت المشـاركـة فى قتـال مشركى مكة أو الفرس أو الرومان . مع ملاحظة انها كانت تحالفات اضافية للقلب الرئيسى من جيش المسلمين . . ولم يكن المسلمون كمالة عدد أو غطاء كما هو الحال الآن فى جزيرة العرب . . ومرة أخرى (وربما للمرة العاشرة) نؤكد انها كانت بمثابة توسيع للتحالف بمعاهدات مع بعض القبائل تحت السيطرة وضد المشركين . . لاضد المسلمين !!

ولـذلك كانت هذه الاستعانة فى مراحل متقدمة من الدعوة بعد ان تم تأليف جيش كبير من المسلمين المجاهدين . وبالتالى فإن المعارك الأولى لم تشهد مشاركة أى واحد من غير المسلمين . . ونقصد بذلك غزوتى بدر وأحـد .

نقرأ فى صحيح مســـلم الباب التالى . .

[كراهة الاستعانة فى الغزو بكافـر] . .

(. . . عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة (موضع على نحو أربعة أميال من المدينة) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاتبعـك وأصيب معك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك قالت ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة ادركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة قال فارجع فلن استعين بمشرك قال ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق) .

وننتقل بعد ذلك إلى كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى لنقرأ فيه هذا الباب :

[باب الاستعانة بأهل الشـــرك] . .

(ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك (لاحظ) على أهل الشرك إذا كان حكم الاسلام هو الظاهر عليهما) .

أى إننا أمام شرطين مترابطين غير متحققين فى حالتنا (مأساتنا المعاصرة) . .

الأول : الاستعانة ضد أهل شرك آخرين . .

الثـانى : ان يتم ذلك تحت السيطرة التامة والكاملة للمسلمين بحيث لاينقلب الأمر عليهم . وتفقد الاستعانة مغزاها وهدفها .

(فقد استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم بيهود بنى قينقـاع على بنى قريظة ، وخرج صفوان وهو مشرك مع رسول الله فى غزوتى حنين والطائف) .

ولكننا نلاحظ مرة أخرى ان غزوتى بدر وأحد لم يسمح فيهما الرسول عليه الصلاة والسلام بأى مشاركة من غير المؤمنين . وقد أشرنا إلى غزوة بدر من قبل . . أما فى يوم أحد . . فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى كتيبة حسناء قال : من هؤلاء ؟ فقيل : يهود بنى فلان ، حلفاء ابن أبى فقال : « إنا لا نستعين بمن ليس على ديننا » .

وروى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، رده (أى ابن أبى) حين عرض عليه ان يخرج فيقاتل معه فقال : لا ، إنا لانستعين بمشرك . وإنما كره ذلك لأنه كان معه سبعمائة من يهود بنى قينقاع من حلفائه ، فخشى أن يكونوا على المسلمين إن أحسوا بهم زلة قدم ، فلهذا ردهم .

وهكذا فإن الاستعانة الجزئية والمحدودة لم تحدث إلا بعد انشاء القلب الاساسى من جيش المجاهدين المسلمين . . وهى نوع من التحالفات التى تضيف بعض القوة المادية . . أو تحيدها . . وهى من الدروس السياسية الفنية للسيرة النبوية الشريفة التى أعطتنا دروساً لانتشار الدعوة وانتصارها بقوانين الصراع السياسى والاجتماعى التى سنها الله للبشر (من طبيعتهم التى فطرهم عليها) ، دون أن تعتمد على المعجزات غير القابلة للتحليل وأخذ الدروس والعظات للمستقبل .

ومرة أخرى هى استعانة بمشرك ضد مشرك ! وتحت السيطرة الكاملة السياسية والعسكرية والغلبة العددية للمسلمين . ومما يؤسف له ان يتم تغييب عقل المسلمين بتجاهل هذه المقارنة الأمينة فينقل « علماء » دين مثال صفوان وهو شخص واحد لتبرير الاستعانة بنصف مليون جندى أمريكى (استحيوا من الله ان لم تستحيوا من البشر) ! ويتم التغاضى عن غرض الاستعانة ضد من ؟ مسلمين أم مشركين ؟ وكأن هذا من التفاصيل التى يمكن اسقاطها . . كيف نأمنكم على شرح القرآن والسنة بعد ذلك ؟!

دار الاسلام . . دار الحرب . . دار العهد . .

فى زمن التبعية وسقوط دولة الخلافة الإسلامية اختلطت المفاهيم . . وأصرّ « علماء » (السلطان) على اصدار الفتاوى والآراء وفقاً للأمر الواقع . . الذى ضاعت فيه الحدود بين العوالم الثلاثة التى حددها القرآن . . وسار على دربها الفقه الاسلامى العظيم . . فحدود العالم الاسلامى لم تعد معروفة . . وهو بدون سلطة شرعية أو دولة . . وقد تمزق إلى أجزاء تمّ ضمها إلى دول أخرى كالجمهوريات الآسيوية التابعة الآن للاتحاد السوفيتى . وإلى أجزاء أخرى أخذت شكل الدول الشاحبة الممزقة

(حوالى ٤٠ دولة) يتبع أغلبها مراكز السلطة فى معسكر الافرنج (الغرب الاستعمارى) فى إطار من التبعية الجديدة . .

ومع غياب الهوية أو الأصل (دار الاسلام) لم يعد بالامكان تحديد دار العهد . . ولا دار الحرب واختلط الحابل بالنابل . . بل قد أصبح لبعض الاقليات المسلمة حقوق فى ممارسة الدعوة وانشاء الاحزاب الاسلامية (انجلترا ـ أسبانيا ـ الاتحاد السوفيتى) ، وهى حقوق لم تستطع بعد ان تنتزعها الاغلبيات الاسلامية فى موطن الاسلام الأصلى حيث مازالت الأحزاب الاسلامية محرمة . . وكثير من حقوق وحرية نشر الدعوة الاسلامية مقيدة .

ومن واجب العلماء ان يواجهوا هذا الاختلاط . . وان يدفعوا فى اتجاه الحق . . وهو اعادة الاعتبار للهوية الاسلامية ، ولاستعادة دولة الخلافة الاسلامية . . وربط آرائهم وفتواهم . . بهذا الواجب أو الفريضة الاساسية لكل مسلم حسن الاسلام . . يفهم دينه . . ويفهم غايته .

ولاستجلاء هذه المعانى الاساسية حول (دار الحرب . . والاسلام والعهد) نعود للدراسة القيمة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله (العلاقات الدولية فى الإسلام) لنقرأ فيها :

دار الإسلام :

هى الدولة التى يحكمها سلطان المسلمين ، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين ، وهذه الدار يجب على المسلمين الذود عنها ، والجهاد دونها فرض كفاية إذا لم يدخل العدو الديار ، فإن دخل ، كان الجهاد فرض عين عليهم ، كل بمقدار طاقته ، وكل دولة تكون الأكثرية فيها مسلمين تعتبر دار إسلام ، ولو غلب عليها غير مسلم (كما يحدث فى بعض البلاد الافريقية) .

دار الحرب :

ان دار الحرب هى الدار التى لايكون فيها السلطان والمنعة للحاكم

المسلم ولا يكون بينهم وبين المسلمين عهد يحدد العلاقة بينهم وبينهم ، ويؤمن فيه الاعتداء على المسلمين . إلا أن بعض الفقهاء يضيف إلى ذلك ضرورة قيام هذه الديار بمحاربة المسلمين حرباً صريحة حتى تستحق ان تسمى دار حرب .

ويلاحظ ان دار المحاربين فعلاً دار حرب بإجماع الفقهاء .

دار العهـــــــــد :

ويقصـد بها القبـائل والـدول التى لاتخضـع للمسلمـين . . ولكنها لاتعاديهم . . ويتم ترتيب نوع من العهد والميثاق بينها وبين المسلمين (أو ما نسميه فى العصر الحديث معاهدة عدم اعتداء) ولذلك فهى تسمى أيضاً دار موادعة . . ويمكن ان تتجاوز معاهدة عدم الاعتداء إلى (اتفاقيات تجارية واقتصادية) كما حدث فى عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) من صلح مع أهل النوبة .

والبحوث الفقهية فى هذا المجال واسعة وكثيرة وقد كانت لنا دولة يحرص فقهاؤهـا (أو القانونيون والدستوريون بلغة العصر) على تحديد علاقاتها بالعالم الخارجى . . أما الآن وقد أصاب أمتنا ما أصابها فلم نعد نسمع بتلك البحوث والاهتمامات . .

ومـا يهمنا فى هذا المجال إذا كانت بلادنا هى دار الاسلام باعتبار أنها تقـطنها أغلبية ساحقة إسلامية (وبغض النظر عن رفضنا للأطر القانونية والسياسية والـدستورية المستوردة التى مازالت تحكمنا) فهل يصعب على انســان مخلص لدينـه ان يحدد موقـع الـولايات المتحـدة من هذه العـوالم الثلاث . . وهل يمكن ان تخرج عن عالم الحرب .

فى أحد اللقاءات رد علىّ أحد الأخوة معتبراً أن الحاكم العربى قد عقد اتفاقاً مع الولايات المتحدة وبالتالى أصبحت دولة عهد وميثاق . . وهذا نوع (والعياذ بالله) من خداع الله سبحـانـه وتعـالى . . وتحـريف الكلم عن مواضعه وهم « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم » .

إن أهل الميثاق لن يحددهم مزاج أى حاكم . . فإذا أصابت الخيانة أو الانتهازية أحد الحكام وعقد معاهدات مع الاسرائيليين أو الأمريكيين . . فهم لن يتحـولوا بقدرة قادر وهم يعتدون على مقدسات المسلمين ويحتلون فلسطين بالمشاركة المالية والعسكرية الكاملة ـ لن يتحولوا إلى أهل ميثاق . . وإنما يتحول الحاكم الذى يفعل ذلك إلى مجرد ملحق بأعداء المسلمين .

فالمعيار القرآنى هو الفيصل وليس رغبات الحكام الذين خانوا الأمانة . . (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) هل اعتزلتنا أمريكا وكفت عن دعم أسوأ استعمار فى التاريخ الإسلامى كله . . أى الاستعمار الصهيونى الاستيطانى لفلسطين ولبيت المقدس ؟!

وهل استقاموا لنا . . حتى نستقيم لهم ؟!

وبـوسعى أن أكتب المجلدات بل هى مكتوبة بالفعل بالمئات والآلاف حول الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط والصراع العربى ـ الاسرائيلى . . وعـلى مدار كل العـالم الاسـلامى . ولاداعى إذن للاستفاضة هنا فى هذا المجـال . . ولكن يكفى أن أشـير بصـورة عابـرة إلى المسـاعدة العسكرية الامريكية الحاسمة التى ساعدت اسرائيل على إنتاج الأسلحة النووية . . والصواريخ الحديثة . . وإذا لم تكن تلك هى المحاربة . . فبماذا تسمونها ؟!

الحقيقة أننا لسنا أمام مشكلة حقائق غائبة . . بقدر مانحن أمام ضمائر غائبة ! !

*****

مرة أخرى العراق . . والـكـــويت :

وبعد هذه السياحة بين دفتى القرآن والسنة وآراء الفقهاء . . نعود مرة أخرى الى العراق والكويت . .

هل أوردنا كل ما أوردناه . . دفاعاً عن النظام الحاكم فى العراق ؟! وضد الكويت المجنى عليها ؟ بالطبع لا . .

نحن نريد ان نستحضر المبادىء والقيم الاسلامية لنحاكم بها الأوضاع كلها . . لاكى ننتقى ما ندعم به وجهة نظر مسبقة لخدمة هذا الحاكم أو ذاك . . فهـذا بالتحـديد مادفعنى لكتـابة هذه الرسالة . . عندما وجدت بعض « العلماء » يتحولون إلى خدم للسلطان . . وللطاغوت . .

لو طبقنا مبادىء الاسلام على الاحداث . . يجب ان نلاحظ مايلى :

١ ــ ان الخطر القياسى الأكبر هو العدوان الامريكى والغربى . . بل والاحتلال العسكرى للسعودية وبلاد الخليج . . إنه الخطر الأكبر على كيان الأمة العربية الاسلامية ، وأكبر ضربة وإهانة . . وأكبر تهديد للمقدسات التى تعبر عن كيان الأمة وشخصيتها .

٢ ــ ان الاحتـلال العـراقى للكـويت الذى فجر هذه الأزمة . . هو خلاف داخلى عربى ـ عربى . . اسلامى ـ اسلامى . . لايجوز شرعاً إلا أن يحل داخل الاطار العربى الاسلامى .

٣ ــ ان تلمظ الغـرب وأمـريكا على بترولنا ، لايعطى لهم أى شرعية فى تحركهم هذا . . ولايجب أن يكـون هذا مبرراً لحكـامنـا . . كى يخضعـوا لهم . . لانهم بذلك يحكمون على الأمة بالتبعية الأبدية . . طالما ان البترول من حق أمريكا والغرب بصورة مطلقة . . وما نحن إلا عبيدهم . . وممرهم للحصول على البترول وإننا بلا نخوة أو رجولة . . أو كرامة . . أو عقيدة . . أو حتى احترام للذات .

٤ ــ ان محاكمة النظام العراقى بالمعايير الاسلامية . . يجب ان تجرى معها بنفس القدر محاكمة للنظام الكويتى . . أولاً . . ثم محاكمة للأنظمة العربية بأسرها ثانيا . . فنحن لانقبل من شيخ مصرى يتحدث عن تطبيق الشريعة فى العراق . . ولا يتحدث عن تطبيقها فى مصر وكذلك الأمر من المحيط إلى الخليج .

وإذا كانت لديكم الجـرأة ان تحاكمـوا الأوضـاع العـربية من المنـظور الاسلامى . . فلنفتح الملفات كلها من المحيط إلى الخليج . أما السير فى

ركاب بوش وتاتشر وتحويل النظام العراقى إلى شيطان ننسب إليه كل المآسى العربية . . وتحويله إلى الخطر الرئيسى بل والأوحد . . إنما هو اعطاء شهادة تبرئـة للعدوان الصهيونى على فلسطين الذى لم يتحرك ضده جندى عربى واحد فى دول الجبهة منذ حرب ١٩٧٣ حتى الآن ١٩٩٠ والحقيقة انها ليست شهادة براءة . . انها تحالف عسكرى صريح ومشين مع اسرائيل من خلال القاسم المشترك (أمريكا) ! .

إن النظام العراقى ـ ككل الأنظمة العربية ـ نظام علمانى يقوم على فصل الدين عن الدولة . . وهو نظام لايطبق الشورى . . ولا يلتزم بسائر أحكام الشريعـة الاسلامية كباقى الأنظمة العربية . . وقد حارب لسنوات ايران المسلمة . . ولكن بالتعاون والتأييد المطلق من كل الحلف الذى تكون الآن تحت قيادة أمريكا . .

وهو نظام لايحتمل الرأى الآخر . . وكذلك معظم الأنظمة العربية . . وهكذا فإن كل ما نأخذه على النظام العراقى ـ من وجهة نظر اسلامية ـ نأخذه على باقى الانظمة العربية . .

ولكن ماذا عن احتلال الكويت ؟ وما ارتكبه الجيش العراقى فيها ؟ !

لقـد وفـر علىّ كثـيراً من الجهد ان كتابة هذه الرسالة استغرقت بعض الـوقت . . اتضـح خلاله ان « الفظائع » التى روجت لها وسائل الاعلام المصرية . . والغربية . . تنتمى فى معظمها إلى الأكاذيب حتى اننى قرأت للشيخ إسماعيل الشطبى من رجال الدين الكويتيين حديثاً فى مجلة المسلمون (السعودية) ينفى فيه مطلقاً حكاية (الاغتصاب) ! وقد نُشر الكثير مما أدى إلى انقشـاع الضبـاب حول الحقـائق . . وعـاد كثير من المصريين إلى الكويت . . بعضهم استقر . . وبعضهم حمل كل ممتلكاته وعاد بلا مشاكل خطيرة .

وقـد كنت أقول دائماً ان ماينشر هو من المبالغات ، لأنه لايوجد داعى لارتكاب الكثير من أعمال العنف . . لانه لاتوجد مقاومة حقيقية . . بل ان

معظم الكويتيين كانوا خارج الكويت ساعة الغزو . . أو غادروا بعده مباشرة . .

وأنا لا أقول ان ضم الكويت كان نزهة . . ولكن لاشك ان الضمّ انتهى خلال ساعات . . . ولم يجر خلاله ما يمكن أن يوصف بالمعارك . . . وأن انحرافات بعض الجنود يُحاسَبون عليها وهى مدانة ، ولا يمكن أن تُنسب إلى أوامر رسمية ، فمن المعروف أن أىّ قوة غازية من مصلحتها أن يستتب الأمن وبالتالى فإن لايمكن أن توجد أى تعليمات رسمية فى الجيش العراقى أو فى أىّ جيش فى العالم يحتلّ بلداً آخر تدعو إلى السرقة أو الاغتصاب أو القتل بدون مقاومة .

ان المسئولية التى تقع على كاهل القيادة العراقية الرسمية هى بالاساس قرار الضم ذاته . . لأن تحرك الجيوش . . ليس نزهة . . ولابد أن تنشأ عنه آلام . . باعتباره عملاً من أعمال العنف . .

فلابد للمناقشة أن تكون على المستوى السياسى . . (شرعية قرار الضم ذاته) ، وبالتالى ما يستتبعه من آلام . . (تشريد - قتل - ارتباك أقتصادى . . . الخ) ، لأن الوقائع الثابتة كالاستيلاء على البنوك . . ومخازن التموين . . الخ هى وقائع مشتقة من عملية الاحتلال والضم وبالتالى لايمكن مناقشتها على صعيد السرقة . . لان هذا مجرد نوع من السباب . . لا يناقش المشكلة عند مستواها الحقيقى . . والشرعى (اقتتال المؤمنين) وقد شرحنا ذلك من قبل . . ان مناقشة كامل سلوك النظام العراقى . . لابد أن تكون مرتبطة بسلوك النظام الكويتى . . وهو بدوره غير ملتزم بالشريعة . . ولا يعترف بالشورى . . ويضيف الى ذلك انه نظام كان قائماً على الربا . . ويضع كل ثروات المسلمين فى بنوك اليهود الربوية . . وانه تعامل مع المسلمين غير الكويتيين بصورة متعجرفة عنصرية لاتمت الى الاسلام بصلة . . وانه نظام قام بتمويل كل أنظمة الغرب ، وقام بانعاش اقتصادياتها - بما فى ذلك الدول الشيوعية . . ولم يلتفت إلا بالفُتَات للشعوب الإسلامية . . بما فيها بعض المواطنين الكويتيين الذين كانوا يعيشون فى

المساكن الشعبية . وانه كان من أكبر المحرضين لضرب الثورة الإسلامية فى ايران .

اقترح قراءة كتاب قيام وسقوط امبراطورية النفط للاستاذ / جلال كشك وبه فصل كامل بعنوان (حتى أنت ياكوويت ؟!) رغم ان الاستاذ كشك يبدو انه تنكر لكتابه الصادر عام ٨٦ بعد اندلاع أزمة الخليج لأسباب لانعرفها بالطبع ؟ . . .

وفى الأزمة الآخيرة . . وباعترافات الرئيس مبارك فإن الكويت يتحمل مسئولية بالفعل فى الاضرار بمصالح العراق الحيوية ولسنا هنا فى مجال التقييم الشامل ولسنا قضاة للنظاميين العراقى - والكويتى . . ونحن نسأل الله ان يجعلنا فى عداد الجنود المجاهدين باخلاص من أجل رفع راية الإسلام .

وإنما فقط نشير إلى مجرد عناوين للتذكرة . . والتى تجعلنا من وجهة نظر اسلامية لانحاز لطرف على طول الخط ضد طرف . . فهذا هو الموقف الأمريكى لا الموقف الإسلامى فى هذه الأزمة . وقد أشرنا فى بداية الدراسة الى أهمية الصلح . . وان قوام الصلح هو ما تتفق عليه الأطراف المعنية ، ونؤكد هنا ان الولايات المتحدة هى التى تحول دون توفير شروط هذا الصلح . .

فعندما - على سبيل المثال - يستجيب وزير الدفاع السعودى . . ليعلن امكانية توفير منفذ للعراق على الخليج باعتبار ذلك تنازلاً بين الأشقاء (الكويت - العراق) يرد عليه - وبدون أى مراعاة للبروتوكول - سفير السعودية فى الولايات المتحدة لينفى كلامه . . ثم يعقب ذلك تصعيد للهجة الحرب من جديد من بوش واتباعه .

وهذا يوضح انه بدون تدخلات مغرضة من أعدائنا فإن أى شىء . . وكل شىء ممكن تسويته فى الإطار العربى .

الموقف من النظام العراقى يختلف بعد الغزو الأجنبى :

ان موقف الحركة الإسلامية كان متحفظاً من النظام العراقى بل ومختلفاً ومتصادماً مع ايديولوجية حزب البعث العلمانية . . ولاشك ان الحرب مع

ايران أضافت أبعاداً جديدة الى ذلك وقد اعتبرنا ان العراق مسئول عن بداية هذه الحرب . . ولكن للانصاف لابد ان نؤكد ان ايران قد ساهمت فى إطالة أمد الحرب فى السنوات الثلاثة أو الأربع الأخيرة برفضها وقف اطلاق النار رغم استعادة معظم الاراضى الايرانية . . وقد فتح شهيّتها احتلال شبه جزيرة الفاو . . وربطت القيادة الإيرانية بين انهاء الحرب وتغيير النظام العراقى .

مع انتهاء هذه الحرب عام ١٩٨٨ . . واصل العراق اهتمامه بتطوير قدراته العسكرية . وهذا مايجب ان يحظى بتأييد كل المسلمين . . فلأول مرة أصبحت هناك قوة صاروخية وكيماوية توازن مالدى اسرائيل من صواريخ وقنابل ذرية . .

والمتابع للدراسات الاسرائيلية يلاحظ ان اسرائيل كانت أكثر الأطراف فى العالم قلقاً من تطوير القدرات العسكرية العراقية . .

هذه القوة العسكرية العراقية المتنامية هى رصيد للمسلمين . . بلا أدنى شك . . ولابد أن تحسب فى رصيد النظام العراقى فى الأعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٠ ، وقد فهم الغرب خطورة ذلك وبدأت حملة مقاطعة للعراق عام ١٩٨٩ لمنع وصول التكنولوجيا المتطورة إليه . . ثم بدأت محاصرته مالياً بتخفيض أسعار البترول . . ودفع دائنيه للمطالبة بأموالهم (كالكويت) لتجفيف مصادره المالية .

والعراق كان على وشك اعادة تشغيل المفاعل النووى بصورة تمكنه من إنتاج القنابل النووية . . ونذكر قصة القنبلة النووية الإسلامية فى باكستان . . وكيف كان ولايزال المسلمون فى كل العالم يتابعونها بشغف وبغض النظر عن طبيعة الحكم فى باكستان !

وهذه هى النظرة الاستراتيجية التى يجب ان يتعلمها المسلمون وعلماء المسلمين فى مقدمتهم فعندما يكون الصراع بين المسلمين والغرب . . لابد من الانحياز للمسلمين . . ولابد ان تتراجع الى الوراء صراعاتنا الداخلية . . أو يتم تأجليها وترحيلها . . هذا مايفعله أعداؤنا معنا فهم فى

مواجهتنا كتلة واحدة . أما نحن فبسبب تبعيتنا . . فإننا نواصل الانقسام بينها العدو على الأبواب . .

ان الموقف من النظام العراقى يختلف عندما تكون المواجهة بين العراق وقوى الشر العالمية . . التى أتت لتصفية حساباتها مع قوة المسلمين (العراق ـ ايران) ، وهنا لايمكن أن أقف مع قوى الشر . . بل لايمكن أن أقف على الحياد . . وليس هذا بالموقف الجديد . . فالحركة الاسلامية لم تكن على الحياد فى عدوان ١٩٥٦ رغم خلافها مع النظام الناصرى . . والحركة الإسلامية وقفت مع الأنظمة المصرية والاردنية والسورية . . ضد العدوان الصهيونى ومع ليبيا ضد العدوان الأمريكى . . وهكذا . .

ولو عدنا إلى التاريخ الإسلامى كله . . لوجدناه على هذا المنوال . . . فالمحكومون لم يكونوا راضين عن حكامهم . . ولكن مع غزوات الفرنجة (التى اشتهرت باسم الحملات الصليبية) وقفت الشعوب الإسلامية وأفتى علماء الأزهر بالقتال مع الحكام المسلمين ضد الكفار والغزاة . .

وبالتالى نحن لانقول بدعة . . ولكننا ندعو إلى موقف هو امتداد طبيعى للموقف الإسلامى الصحيح من أى غزو خارجى . . وعندما نصد الغزاة عن أبواب بلادنا . . يمكننا ان نرتب أوضاعنا الداخلية ونقيم اعوجاجها بناء على مرجعنا الأساس أو الوحيد فى التقويم (شريعة الله) .

وبالنسبة لحالتنا المعاصرة فإن شعب كل قطر إسلامى هو المنوط به ـ من حيث الاساس ـ تقويم اعوجاج حكامه . . أما الحملات الإعلامية الرّخيصة والهابطة والمسفة فليست إلا وسيلة للحكام لتصفية الحسابات مع بعضهم البعض دون ان تجدينا فتيلا فى الاتجاه الصحيح .

الانقسام بين الإسلامية والعلمانية :

ان الملمات الكبرى تكشف ان انقسام الأمة وتمزقها بين العروبة والإسلام . . أو بين تيار العلمانية والتيار الإسلامى . . هو انقسام ظاهرى ومستورد . . وتعبير عن الاختراق الفكرى لعقل الأمة ، فعند كل خطر

حقيقى . . يدرك الجميع اننا أمة واحدة لها مصالح واحدة . . وأعداء مشتركون ، ولا نقول ذلك من موقف الحياد . . وإنما من موقف الانحياز الكامل للحل الإسلامى . .

وإنما أشير الى وقوعنا فى المصيدة الاستعمارية . . وان نتحول الى أمتين فى أمة واحدة . . أى أمة منقسمة على نفسها . . ولو تمكنا من إيجاد لغة مناسبة للتخاطب . . ولو ركزنا على تحديات الحاضر والمستقبل عوضاً عن مرارات الماضى . . فستعود الأمة للانصهار فى بوتقة واحدة ، ولو خضنا معاركنا الحقيقية . . بدلاً من الحروب الأهلية الكلامية . . فسيدرك العروبى ان لامعنى لعروبته بدون الإسلام . . وسيدرك التيار الإسلامى . . ان العروبيين ركزوا على بعض القضايا الوطنية الحقيقية ، وان العلمانية قشرة مستوردة وهشة ستذوب فى أتون المعارك ، ولعل مايجرى على الساحتين الفلسطينية والاردنية يقدم لنا نموذجاً مشرقاً ورائداً فى هذا المجال . . أى التحام التيارات الإسلامية والوطنية ضد الصّهاينة . . وان العلمانى (فى أغلب الأحيان) ليس إلا إنسانا مسلماً تأثر بالفكر الغربى . . ولأن الفكر الغربى قد فقد بريقه أوكاد . . فإن التحوّل التاريخى جارٍ على قدم وساق فى عقول مثقفى الأمة . . فهاهى الشيوعية تتبدد أثراً بعد عين . . أما الحضارة الرأسمالية فقد شاخت منذ زمن . . وعليها كل آثار الشيخوخة . . مهما حاولت مظاهر القوة العسكرية والتكنولوجيا ان تغطى لحين على مظاهر الانهيار الروحى والاجتماعى والاقتصادى فى أعمق أعماقها . .

وبالتالى فإن كل الظروف مهيّأة لهزيمة الاختراق الفكرى لأمتنا . . هزيمة ساحقة . والوجه الآخر للعملة . . ان كل الظروف مهيّأة لتوحّد الأمة من جديد حول رسالة واحدة وحضارة واحدة . . رسالة الإسلام . . وحضارة الإيمان والإسلام . ونحن إذا وضعنا نصب أعيننا هدفنا واضحاً . . التحرر من السيطرة الاسرائيلية ـ الأمريكية . . وتوحيد الأمة العربية الإسلامية . . ولم نحد قيد أنملة عن الجهاد فى هذا الطريق . . فإن جموع الأمة ونُخبتها ومثقفيها ستتحد بأغلبيتها الساحقة . . وستزول . . الحروب الأهلية الكلامية . . والعملية بين صفوفنا . . ونعود مرة أخرى . . خير أمة أخرجت

للناس . . الأمة الوسط التى هى شهيدة على كل الأمم . .

وفى هذا المجال فليتنافس المتنافسون . . ويتم الفرز بين الأفراد والشعوب والأنـظمـة . . أما الذين يخدعون شعوبهم . . ويروجون أن مصلحة هذه الأمـة . . ان تقف خلف المتـاريس الأمـريكية . . وفى خنـادق الحلف الاطلنـطى . . فهؤلاء يدعـوننـا إلى الانتحـار . . وإلى أن ندمـر أنفسنـا بأيدينا . . وان نسلم قيادنا لأعدائنا . . ونخون مبادئنا وعقيدتنا . . ويأبى الله هذا ورسوله والمؤمنون . .

ان اعلامنا الرسمى الهابط . . يدعو الى حرب . . تدمر جزءاً كبيراً من الامكـانيات العـربية الاقتصـادية والعسكرية وإلى قتل ١٠٠ ألف مواطن مسلم . . معظمهم عراقيون ومصريون . . اعلامنا الهابط يصفّق لمحاصرة الشعب العـراقى . . وتجـويعه . . ولتدمير الاقتصاد العراقى . . والجيش العـراقى . . ويستحث بوش . . على ان يضرب ضربته . . ولا أدرى ما علاقة هذا بالإسلام ؟ .

ولماذا لم نجد كل هذه الحمية تجاه القدس الشريف ؟ انها أصوات مشبوهة تُريد أن تخلق للشعب المصرى أى أعداء إلا اسرائيل وأمريكا . . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * * *

ونحن كمؤمنين بالله عز وجل نثق فى ان للبيت رباً يحميه . . وان هذه الهجمة الشرسة التى لامثيل لها فى تاريخ العالم ستنقلب على مدبّريها ، وأن هذا المكر السىء سيرتد على أصحابه . .

ان الـولايات المتحدة تخوض آخر معاركها . . كدولة عظمى . . ومهما كانت نتيجـة الصراع . . فإن أمـريكـا ستكتسب عداء كل الشعـوب العربية . . وهى إن تمكنت من توجيه ضربة مدمرة للعراق . . فهى بلاشك لاتستـطيع ان تخضـع المسلمـين بأسرهم . . بل هى ستـدفـع ثمن ذلك غالياً . . لقد سيطرت الولايات المتحدة على العالم العربى دائماً لأنها كانت من وراء ستـار (اسرائيل وبعض الأنـظمة العربية) أما الآن فإن أمريكا

تكشف عن وجهها القبيح مباشرة . . وتعيد إلى الأذهان كل مساوىء الاستعمار التقليدى .

وكما ذبلت الامبراطورية التى كانت لاتغيب عنها الشمس (الامبراطورية البريطانية) . . فإن الامبراطورية الأمريكية لعلها تخوض آخر أكبر معاركها . . كدولة عظمى . . فعندما تحشد كل هذه القوات ولا تحقق هدفها . . وهو إخضاع كل المنطقة لمشيئتها . . فإنها ستكون ـ بإذن الله ـ قد تلقت الضربة القاصمة . . وسيبدأ العد التنازلى فى التسارع . . وسيعود مركز الحضارة إلى مكانه الطبيعى . . إلى الشرق . . الشرق الإسلامى . . والمتديّن . .

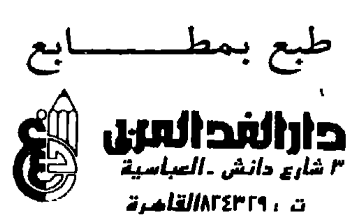
﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ .

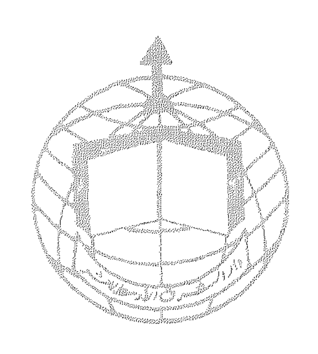
صدق الله العظيم

رقم الإيـــــداع

١٩٩٠ / ٩٦٧٣

طبع بمطـــــابع



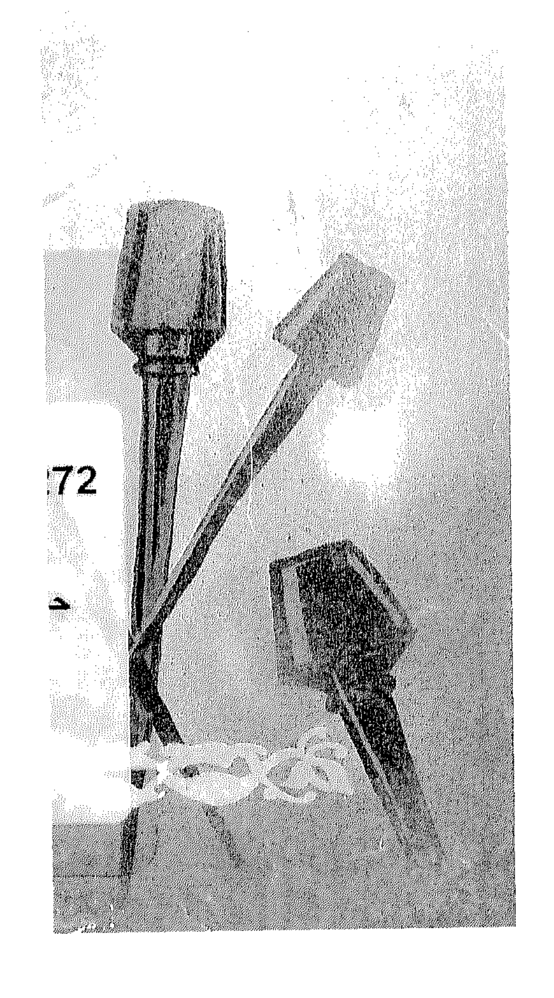


هـذا الكتـــاب

حول أزمة الخليج التى أثارت بلبلة رهيبة فى أوساط أهل الفكر والرأى والعلم ، وحول الخطأ والصواب فى مقدم الحشود العسكرية الغربيّة إلى الخليج العربى والجزيرة العربيّة ، والوجه الحقيقى لهذه الحشود كغزوة صليبيّة جديدة ، صاحبها طوفان من الإعلام المضلل الذى حاول أن يجّمل الوجه الكالح لهذه الغزوة .

حول ذلـك كله ، وحـكم الإسـلام فى الاستعانة بالمشركين ضد المسلمين ، تدور موضوعات هذا الـكتـــاب .

I.S.B.N
977 - 5087 - 02 - 3



دار الشــرق الأوسط للنشــر
١٥٣ شارع الطيران ـ مدينة نصر ـ القاهرة
ت : ٢٦٠٥٧٠٧

الغلاف بريشة : مدحت عبد السميع